الفصل الأول

الحوار العربى الإيراني

obeikandl.com

obeikandl.com

1

العوامل المشكلة لصورة إيران في العالم العربي

هناك عدد من العوامل التى تؤثر على صورة إيران لدى الحاكم والمحكوم فى العالم العربى. ومن الملاحظ بشكل مبدئى أن عوامل تكوين الصورة لدى الرأى العام العربى تتأثر هى الأخرى بموقف النظم العربية من إيران، تأثراً سلبياً أو إيجابياً. وعلى سبيل المثال فإن تقلب العلاقات المصرية الإيرانية من العداء التام فى العصر الناصرى، إلى الانسجام التام فى عصر السادات والشاه، ثم انتقالها إلى مرحلة التوتر منذ الثورة الإسلامية ثم الاستقرار والجمود فى عصر الرئيس مبارك، قد أثر على موقف الرأى العام المصرى. ويكون التأثير سلبياً كما أعلنت الحكومة فى مصر عن أحداث أمنية مثل التجسس وغيرها منسوبة لإيران. غير أن الإعلام الصهيونى المقترن بتوتر العلاقات الأمريكية الإيرانية قد لعب دوراً حاسما فى التأثير على الرأى العام العربى رغم سقم بعض الطروحات الصهيونية وآخرها اقتراحات السفير الأمريكى السابق فى إسرائيل مارتن إنديك، الذى تجسس على بلاده لصالح إسرائيل، فرقى إلى منصب مساعد وزير الخارجية الأمريكية، والذى يوظف مؤسسة بروكنجز للبحوث لبث هذه المقترحات التى تدعو إلى التضامن بين المسلمين السنة فى العالم العربى وبين اليهود ضد ما أسماه بالخطر الشيعى. وتستمر الدعاية الصهيونية فى تشويه صورة إيران الثورة فى العالم العربى، حتى أصبحت العلاقة العربية مع إيران وصمة عار، وأن

الدول المارقة فى المنطقة وحدها هى التى تتحالف مع إيران، مشيراً فى ذلك إلى سوريا وليبيا خلال الحرب العراقية الإيرانية. ولا شك أن الحوادث الأمنية التى كان يتم الإعلان عنها فى العالم العربى خلال حكم صدام حسين فضلاً عن الدعاية العراقية المكثفة ضد إيران وفكر الخومينى أثناء هذه الحرب هو الذى ترك أثراً سلبياً خطيراً على صورة إيران فى العالم العربى. وبلغت الدعاية الصهيونية حدا لافتا، خاصة بعد دحر حزب الله للاحتلال الإسرائيلى فى جنوب لبنان عام ٢٠٠٠ واشتدت بشكل غير مسبوق فى مناسبتين الأولى بمناسبة الملف النووى الإيرانى، والثانية بمناسبة فشل إسرائيل فى احتلال جنوب لبنان أو تحقيق الأهداف السياسية لحملة التدمير الواسعة التى اختصت بها لبنان عام ٢٠٠٦.

وقد ألصقت الدعاية الصهيونية الإسرائيلية والأمريكية عدة صفات واتهامات، يتعين على إيران أن ترد عليها، إذا أرادت أن تطمئن الرأى العام العربى إلى سياساتها، وحبذا لو اتخذت إيران بعض الإجراءات والتدابير التى ترضى دولة الإمارات العربية المتحدة فيما يتعلق بقضية الجزر. وأهم المآخذ التى تتردد بشأن إيران هى أنها نظام غير ديمقراطى، وهذا اتهام يتطلب دراسة دقيقة للملامح الديمقراطية فى الدستور الإيرانى، وكذلك سجل الممارسات السياسية الإيرانية. تتهم إيران أيضاً بأن نظامها يرفع شعارات أيديولوجية ثورية، وأنه نظام إسلامى متطرف، ثم إنه نظام يعمل على إنشاء دولة شيعية كبرى وتمزيق الأوطان العربية التى يقيم فيها الشيعة، وأنه نظام يعمل على تمزيق العراق، عدوه التاريخى اللدود. كانت هذه الدعاية أيضاً قد أعلنت أن إيران الثورة تنوى تصدير هذه الثورة إلى دول الخليج ثم الدول العربية الأخرى. وكانت واشنطن بعد فشلها فى ركوب موجة الثورة وانفجار العلاقات مع إيران باستيلاء حرسها الثورى على أعضاء البعثات

الأمريكية فى طهران واحتجازهم كرهائن، قد ركزت على أن إيران تهدد العالم العربى ووجهت بغداد إلى مهاجمة إيران بحجة تأديب إيران والقضاء على ثورتها وخطرها على المنطقة العربية، فأوهمت واشنطن العالم العربى بأن قلبها على مصالحه وأنها من حراس العروبة جنباً إلى جنب مع صدام حسين.

وتطول قائمة المآخذ التى يرددها العالم العربى ضد إيران، مثل مساعدة الولايات المتحدة ضد طالبان، وغيرها مما يمكن أن ينال من صورة إيران الإسلامية فى نظر العالم العربى.

فإلى أى مدى أثر الإعلام الصهيونى على صورة إيران فى العالم العربى؟

من الواضح أن الإعلام الصهيونى يركز على تمزيق وحدة المسلمين إلى سنة وشيعة، ويظهر أن ما يجمع السنة بغيرهم من أتباع الأديان الأخرى خاصة اليهود أكبر مما يجمع بين السنة والشيعة. ولذلك يجب على علماء المسلمين مواجهة هذه الفتنة التى تجسدت إلى واقع فى العراق وتمتد الآن إلى لبنان. ولعل وكلاء الإعلام الصهيونى فى العالم العربى قد أدخل الشكوك إلى العقل العربى، عندما ركز على أن انتصار لبنان على إسرائيل هو انتصار لشيعة لبنان، ولكل شيعة العالم. وقد يكون هذا صحيحاً ولكنه ليس كل الحقيقة. فهذا الانتصار هو فى الواقع انتصار لكل الأحرار والشرفاء فى العالم كله. وقد حاولت إسرائيل خلال حملة تدمير لبنان أن تعمق هذا المفهوم البائس، إذ ركزت الدمار على شيعة لبنان وأحيائهم فى الضاحية الجنوبية وجنوب لبنان، لأنها تثق أن كل شيعة لبنان أتباع لحزب الله، لعل تدمير الشيعة يعطى غيرهم رسالة بأن إسرائيل لا تستهدف إلا من يعتدى عليها، ومادام حزب الله هو الذى يناصب إسرائيل العداء فإن تدمير أتباعه هو الجزاء العادل. كذلك أكد الإعلام الصهيونى أن حزب الله ينفذ أجندة إيرانية، فى الوقت الذى

اجتهدت الأقلام الصهيونية العربية لكى تؤكد للقارئ العربى أن إيران النووية أخطر على العرب من إسرائيل النووية. وزعموا أن السبب هو أن إيران متطرفة بينما إسرائيل معتدلة. وهذا استخفاف واضح بعقلية القارئ العربى، الذى لا يذكر أى ضحايا عرب لإيران، بينما استباحت إسرائيل وأمريكا الدم العربى، كما استباحوا الأعراض والأوطان وجرائمهما يندى لها الجبين الحر. وقد صورت إيران بأنها تأوى الإرهاب وتسانده، وهى عبارة يقصد بها مساندة المقاومة العربية فى لبنان وفلسطين ضد إسرائيل، على خلاف إيران الشاه الذى سخر لخدمة أمريكا وإسرائيل، ومات ودفن غريباً بعد أن ضنت عليه أمريكا بمجرد تركه فيها لينتظر أجله على أراضيها وطردته إلى مصر مقتولاً من الغيظ والسرطان وهى نهاية ودرس وعبرة لكل من يحتمى بالأحضان الأمريكية الصهيونية.

وأخيرا، تلقف محترفو الكتابات السياسية السطحية ما تبثه لهم أجهزة الإعلام الصهيونى عن إيران بأن إيران النووية سوف تمد العصابات الإرهابية بالأسلحة النووية، وأنا شخصياً أتمنى أن يحصل الفلسطينيون وحزب الله على سلاح نووى يرد غطرسة إسرائيل واستخفافها المؤلم بكل من هو عربى ومسلم.

إن إيران تساند الحق فى المعسكر العربى، ومن مصلحة العالم العربى أن يقيم حلف معها ضد أعدائهم. وأن يسوى المشاكل التى خلقتها الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا السياسية والبشرية. وآمل أن تتبنى إيران استراتيجية سياسية وإعلامية ترد على الإعلام الصهيونى فى المنطقة العربية، كما تطمئن الشعوب العربية خاصة فى الخليج إلى أنها الأقرب ديناً ومكاناً وثقافة وارتباطاً إقليمياً ومصلحياً من الغرب الذى كشف عن وجهه الاستعمار وترابطه ضد الإسلام والمسلمين.

| 2 |

في الحوار العربي الإيراني

طالب السيد عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية ببدء حوار جماعى بين الدول العربية وإيران ولكنه أشار إلى أن الموقف العربى من هذه المسألة يحتاج إلى تنسيق مادامت دول أخرى على خلاف مع إيران أما دواعى الحوار فأهمها أنه إذا كانت واشنطن تدعو للحوار عموماً ومع إيران خصوصاً فإن الحوار ألزم بين دول المنطقة ومنها إيران. يضاف إلى ذلك أن معظم الملفات العربية تلعب إيران فيها أدوارا متفاوتة. ففى الملف اللبنانى والفلسطينى تحوز إيران نسبة عالية، وترتفع هذه النسبة فى العراق الذى يتخبط فى البحث عن مستقبله. وهناك سبب ثالث يجعل الحوار عاجلا وملحا وهو أن الحوار الأمريكى الإيرانى يوشك أن يبدأ وهناك مخاوف عربية قوية من أن يكون الحوار الأمريكى الإيرانى على حساب العالم العربى، وهذا صحيح بحكم تراجع الدور العربى وغيابه أحياناً فى الملفات العربية التى أصبحت أوراق قوة لإيران. أما السبب الرابع الداعى إلى سرعة الحوار فهو الشعور لدى إيران- وهو شعور تغذيه إسرائيل والولايات المتحدة – بأن العالم العربى يتآمر عليها مع إسرائيل والولايات المتحدة، وليس للعرب مصلحة فى استقرار هذا الشعور أو ظله فى العلاقة بينهما، صحيح أن هناك أزمة عدم الثقة المتبادلة، ولكن عدم الثقة العربية فى إيران تعلو على قدر الشك الإيرانى فى النوايا العربية. وتخشى إيران أن يؤدى الضعف العربى إزاء

إسرائيل إلى الاستجابة للدعوة الإسرائيلية للعرب بالضغط على إيران أو التحالف مع إسرائيل ضدها إذا أراد العرب من إسرائيل لينا فى موقفها من القضية الفلسطينية، بل طلبت إسرائيل ذلك أيضاً من الفلسطينيين وتقصد حماس تحديداً. غير أن القراءة الصحيحة من الجانب العربى لتطور القوة الإيرانية وعواملها وأوراقها وأسلوب إدارتها لعوامل القوة، فضلاً عن استعداد العرب لتعظيم أوراق القوة لديهم فى مواجهة كل الأطراف فى المنطقة وهى تركيا وإسرائيل والولايات المتحدة هى مهمة أولية لبدء الحوار. وإذا كان الحوار مع إيران ضرورة، فإنه يتطلب استعدادا عربياً وتنسيقاً فى المنطلقات واستقلالا فى المواقف. ذلك أن مثل هذا الحوار قد لايروق للولايات المتحدة حتى يظل العرب ورقة فى يد واشنطن ضد إيران، وبالقطع فإن هذا احوار يجب أن يكون ورقة فى يد العرب ضد إسرائيل بدلا من اصطناع إسرائيل ورقة العداء العربى الموهوم لإيران فى تعاملها مع العرب. وبالطبع فإن إسرائيل تسعد لكل تدهور فى العلاقات بين إيران وأى دولة عربية، فقد سبق أن أعلنت سرورها للخلافات بين إيران والإمارات، ومصر، وتونس، وموريتانيا، وقطع العلاقات بين المغرب وإيران. هكذا يبدو ضروريا اللقاء العربى الإيرانى ودراسة الصورة المتبادلة للطرفين والملاحظات والمآخذ من كل منها والتى يجب أن تؤخذ بشكل جدى .

أما آلية الحوار وأدواته فلا ضير أن يبدأ فى العموميات وفى الجامعة العربية وأن يعهد إلى أحد مراكز البحوث العربية إعداد دراسة شاملة لاستراتيجية الحوار.

إن وقوف العالم العربى متفرجاً على المباريات السياسية التى تلعب فيها إسرائيل وتركيا وإيران وأمريكا سوف يجعل العالم العربى ساحة للتكالب، ولذلك فإن بدء الحوار مع إيران هو بداية لدور عربى فى الملفات العربية.

| 3 |

إيران والعالم العربي: إلى أين؟

تشهد العلاقات الإيرانية مع بعض الدول العربية عددا من الأزمات، كما تشهد مع بعضها الآخر عددا من التقلبات، بحيث لا يمكن القول أن هذه أزمة فى العلاقات الإيرانية العربية مادام العالم العربى لايتفق على موقف واحد فى مواجهة إيران. وقبل تحليل هذه الفرضية يجب أن نشير إلى عدد من الحقائق الهامة لمثل هذا التحليل.

الحقيقة الأولى: هى أن إيران جزء من تركيب المنطقة الثقافى والاجتماعى، وأن صورتها فى المنطقة العربية تأرجحت حسب بعض التطورات سواء فى المنطقة العربية أو فى إيران. ففى أيام المد القومى العربى المناهض للهيمنة والانتقاص من الحقوق العربية كان هذا المد موجها ضد الغرب وإسرائيل والدول المتحالفة معهما، وخاصة إيران وبشكل أخص لأن لإيران وجود تاريخى فى منطقة الخليج، ويفترض أن المد القومى يحافظ على الجسد العربى فى مواجهة نقاط التماس غير العربية. وهكذا كان العداء من جانب هذا المد القومى تقليديا ضد إيران وتركيا، ولكن لم يكن العالم العربى ينظر إلى إيران على أنها دولة شيعية، لأن المد القومى كان يتسامح مع جميع التيارات الدينية والعرقية حتى يستوعب فكرة الوحدة العربية، ولكن عندما تولى السادات حكم مصر وتقارب مع الولايات المتحدة انتهى التناقض بين المد القومى الذى ضرب عام ١٩٦٧ وبين إيران بشكلها السابق.

الحقيقة الثانية: هى أن الثورة الإسلامية فى إيران، ومواجهة الولايات المتحدة لها ودخول العالم العربى فى تحالف مع واشنطن، قد خلقت حاجزا نفسيا بين الدول العربية الحليفة لواشنطن وبين إيران، ولكن هذا الحاجز لم يرتفع إلى درجة العداء لإيران. ولاشك أن الدعاية الأمريكية ضد الثورة الإسلامية فى إيران قد أسهمت فى توتر العلاقات بين إيران وبعض الدول الإسلامية العربية مثل تونس وغيرها.

الحقيقة الثالثة: هى أن غياب العالم العربى، حتى عن قضاياه العربية فى العراق وفلسطين ولبنان وفى مواجهة إسرائيل، قد دفع إيران وتركيا إلى ملء الفراغ كل بأجندته الخاصة، مما أدى إلى الاحتكاك الذى نشهده اليوم بين بعض الدول العربية وإيران، مع ملاحظة أنه رغم تقدم تركيا هى الأخرى على حساب العالم العربى ولصالح القضايا العربية أيضا إلا أن الاحتكاك ظل قاصرا على إيران وليس تركيا.

الحقيقة الرابعة: أن إيران تسعى لامتلاك وسائل القوة اللازمة لقوة إقليمية كبيرة، لها أوراق قوة فى الإقليم وفى سياسات العالم، ويمكن القول أن إيران تمتلك اليوم أوراقا فى هذا القوس الواسع من أفغانستان حتى فلسطين مرورا بباكستان، وعلاقات وثيقة مع الصين والهند وروسيا ثم لبنان وفى فلسطين مرورا بالعراق، وهذا هو الذى رشحها للتفاوض مع واشنطن لترتيب الأوضاع فى المنطقة فى ظل الإدارة الأمريكية الجديدة.

أما الدول التى يقع الاحتكاك بينها وبين إيران بشكل ظاهر فهى مصر والسعودية والمغرب التى قطعت علاقاتها الدبلوماسية بإيران، وتطارد ما تسميه حركة التشيع فى المغرب التى تراها مناقضة للعقيدة السياسية والدينية للشعب المغربى، رغم أن الدولة الفاطمية الشيعية بدأت من المغرب واستقرت فى مصر وشيدت القاهرة والأزهر، ولكن المذهب الشيعى لم يلق رواجا منذ القرن العاشر

الميلادى حتى الآن فى المنطقة العربية، وأن مساندة إيران للقضايا العربية، فى ظل الغياب العربى، وصلابتها فى مواجهة الولايات المتحدة فى ظل التخاذل العربى، وتصدى حزب الله بقوة لإسرائيل فى ظل التقهقر العربى، رسم صورة مثالية لإيران عند الرأى العام العربى، وتمنى أن يكون موقف الحكومات العربية من نفس النوع من الصمود والجسارة.

وربما ظن البعض أن تلك من خصائص المذهب الشيعى، خاصة وأن المواطن العربى متسامح بالنسبة للمذاهب الإسلامية، ولايرى فرقا بين المذهب المالكى أو الحنفى أو الشافعى أو الحنبلى، ويظن أن المذهب الشيعى هو أحد هذه المدارس، وأنه إذا كان المذهب الشيعى يعنى التشيع لآل البيت فإن كل المسلمين متشيعون، وأنه لم يقل أحد أن هناك علاقة تاريخية بين إيران وبين آل البيت، وأن الرموز التى يقدرها الشيعة هى رموز محل احترام كل المسلمين.

من ناحية أخرى، فإن المواطن العربى لا يفهم الفرق بين السنة والشيعة طالما أن السنة هى الالتزام بسنة النبى ﷺ وأن الشيعة هى التشيع لآل البيت، فالمسلم شيعى وسنى فى وقت واحد، ولا يفهم المواطن العربى تلك التخريجات السياسية التى تأتى بها بعض التفسيرات الحكومية لاعتبارات سياسية، أو تلك التى يتبرع بها بعض فقهاء الشيعة والسنة وتستغل فى المعركة السياسية، وإلا ألم تكن إيران شيعية فى عهد الشاه فلماذا لم يقل أحد بهذا الفرق الواسع بين عالم الشيعة وعالم السنة؟ وهل مجرد إعلان الشاه أن إيران دولة علمانية بينما تعلن الجمهورية الإسلامية أن نظامها إسلامى شيعى هو الذى أدى إلى هذه المعركة المصطنعة، وما هو موقف هذه الدول العربية من قضية الشيعة إذا تم التوافق الإيرانى الأمريكى وصدرت الأضواء الخضراء من واشنطن للتقليل من أهمية هذه المصطلحات؟ أما العلاقات

بين مصر وإيران فهو ملف عرف التذبذب إلى أدنى درجات التدهور وإلى أعلى درجات الرضى والانسجام، بل إن بعض المسؤولين فى مصر يطلق التصريحات فى الاتجاهين فى أيام متعاقبة، ولذلك فإن هذا الملف له أوضاع خاصة لايمكن القول فى ضوئه بأن موقف مصر نهائى من إيران. وكذلك الموقف السعودى وهو الأكثر توازنا، فى ظل وجود علاقات سعودية إيرانية وحوار استراتيجى بين البلدين، وإدراك السعودية لوزن إيران فى المنطقة بشكل مباشر لأنها تتواجه معها مباشرة فى الخليج.

خلاصة القول: أنه لا توجد أزمة فى العلاقات الإيرانية العربية، وأن القلق من تزايد نفوذ إيران لا يمكن إزالته بمجرد التصريحات المعادية لإيران، وإنما يتم ترجمة هذا القلق من إيران ومن غيرها من الدول الإقليمية عن طريق امتلاك أوراق القوة، وظهور العالم العربى كلاعب رئيسى فى الملفات الإقليمية، أما المسلك الحالى من الجانب العربى فإنه لايليق بدول تدرك مبادئ العلاقات الدولية الصحيحة.

| 4 |

لماذا اتخذ النموذج الإيراني للتخويف من التيار الإسلامي؟

يتردد بقوة في العالم العربي الآن دعوات تساعد على القطيعة بين أجزاء متفرقة بين العالم الإسلامي وخصوصًا بين الشيعة والسنة وكأن الاختلاف بين الفريقين قد تم اكتشافه والتنبيه إليه وأن الفارق بين المذهبين أصبح يصور على أنه فارق بين دينين وليس بين مذهبين في دين واحد .من ناحية أخرى فقد لوحظ أن هجوم كتائب الموت الشيعية على سنة العراق وفقدان قرابة ربع مليون من أبناء العراق في حروب طائفية استهانت بكل المقدسات بما في ذلك دور العبادة قد دفعت إلى السطح مقولة خطيرة وهي أن البقاء سوف يكون لمذهب واحد وأن الصراع بين المذهبين أصبح أكثر أهمية من الصراع ضد المحتل الأمريكي وأن جميع الخطايا التي ارتكبتها الولايات المتحدة في العراق سوف توضع في خانة الصراع المذهبي وهي خطة محكمة نجحت الولايات المتحدة في تنفيذها ساعدها على ذلك أن شيعة العراق ظنوا خطأ أن صدام حسين كان يستهدفهم لأنه سني وهي مقولة أمريكية أشربت في أفهام الشيعة رغم أن صدام حسين كما هو معروف كان علمانيًا متطرفًا لا يعترف بإله سوى السلطة والتسلط ومن المستبعد تمامًا أن يكون قد استهدف أحدًا بسبب مذهبه أو دينه لأن الاستبداد كان يوجه إلى عموم المواطنين ، ولهذا فإن إظهار الشماتة الشيعية في إعدام صدام حسين على يد حكومة شيعية تأتمر بأمر الاحتلال ، فضلاً عن احتفال إيران بذبح

صدام حسين صبيحة عيد النحر ليكون قرباناً لكل من يتشفى ، وصور الأمر على انتصار للشيعة على السنة الدين يمثلهم صدام حسين قد ترك أثرا غائرًا في النفوس على نحو ما أكده الشيخ يوسف القرضاوي في مؤتمر الدوحة للتقريب بين المذاهب ، هذه التطورات أظهرت للعالم العربي أن إيران وإسرائيل والولايات المتحدة وهي الدول التي أظهرت احتفالها واحتفائها بإعدام صدام حسين في قارب واحد .

والمعلوم أنه مما قوى هذا الاعتقاد في العالم العربي وترك علامات استفهام غامضة في الإدراك العربي أن شيعة العراق لم يتصدوا للاحتلال على أساس أنهم الأغلبية وأن الجيش الأمريكي يقوم بما كان يجب أن يقوم به وهو القضاء على صدام حسين ونظامه أو بعبارة أدق ووفق التعبير الأمريكي القضاء على سيطرة الأقلية السنية على الأغلبية الشيعية والكردية ، وهذا المفهوم ليس مقبولاً في العالم العربي الذي يصر على أن العراق عربي مسلم ولن يقبل مطلقًا بتقسيمه على أي أساس أو باستبعاده من الحظيرة العربية الإسلامية تحت أي مسمى .

يدرك العالم العربي أيضًا أن عراق صدام حسين هو الوحيد الذي هدد الأمن القومي الإيراني ومن الطبيعي أن تشعر إيران بالانتعاش بزوال هذا الخطر ولكن ليس من حقها أن تسعى إلى تقسيم العراق على أساس طائفي حتى لا تقوم للعراق الموحد قائمة بحجة أنه يتبنى طرحًا قوميًا متصرفًا وأن هذا الطرح القومي يؤثر على الأمن القومي الإيراني .

هذه هي نقطة التقاطع الحقيقية بين العام العربي وبين إيران ، والأدهى من ذلك أنه في عصر خلط الأوراق وفي أوقات الشفق والغسق يختلط على المرء التمييز بين العدو والصديق وبين الذئب والحمل أو حتى بين الذئب والكلب أو الحق والباطل لأنها مرحلة رمادية يقبل فيها الليل على النهار أو ينسحب فيها الليل تاركًا ومفسحًا المجال

لانبلاج النهار أو كما يقول رجال الأدب يفسح المجال للسان الصبح حتى يجلي سواد الليل . في هذا المناخ ظهرت نغمة جديدة أحسب أن التصدي لها وتمحيصها من أوجب الواجبات لأن الذين يطلقون هذه النغمة إما مشبوهون في نواياهم وإما جاهلون لما تحدثه هذه النغمة من إصابات بالغة في القيم العربية والإسلامية معا .

وبصرف النظر عمن يتحمل المسؤولية فإن قدرًا من التداخل قد حدث بين التصرفات الإيرانية وردود فعل بعض الأنظمة العربية فسر أحيانًا على أنه جزء من الحملة الأمريكية ضد إيران كما فسر في أحيان أخرى على أنه تجاوز من إيران لحساسيات العلاقات والأوضاع في المنطقة العربية . ثم اشتد خطر هذه النغمة عندما اتخذت إيران نموذجًا لكي تقوم بعض النظم العربية وبعض المفكرين العرب بإدخال الرعب في نفوس شعوبهم من مشاركة التيارات والعناصر الإسلامية في الحكم حيث اشتدت هذه النغمة بشكل خاص في مصر فيما أعلنه الرئيس مبارك من خطر تولي التيارات الإسلامية السلطة ونحن في هذه المقالة لا نريد أن نتصدى لهذه المقولة ولكننا نحذر من خطرها ، كما لا نريد أن نستريح للتفسير السهل وهو أن حكامنا يتصالحون مع الإسلاميين أو يتباغضون معهم كلما كان ذلك منسجمًا مع المزاج الأمريكي . ولكن تصوير مستقبل الحكم عندما يسيطر عليه الإسلاميون وتقديم إيران نموذجًا على أن هذا النموذج يتسم بالانغلاق والإرهاب واحتضان الإرهاب وتخويف الاستثمارات وعزل البلاد التي يحكم فيها الإسلاميون هذه قضية تحتاج لمعالجة هادئة . فالمعلوم أن الولايات المتحدة وحدها هي التي تولت تشويه صورة إيران في العالم بعد أن عجزت واشنطن أن تجد لنفسها مكانًا في ثورة الإمام الخوميني وهي ثورة شعبية موجهة لحاكم مستبد خدم الاستراتيجية الأمريكية في أشد سنوات الحرب الباردة خطورة . ولا شك أن ظهور ثورة إسلامية في إيران

وهي على هذا القدر من الأهمية في الاستراتيجية الأمريكية كان كفيلاً بأن يلحق بها كل الأوصاف السلبية التي تجعل صورتها قبيحة في نظر الجميع لمجرد أنها إيران وأن الثورة تحمل شعارات إسلامية وأنها تقوم أساسًا على مناهضة السياسة الأمريكية وعلى جلب الاستقلال لدولة عانت طويلاً من التحالف بين الحكم المستبد والتبعية الأمريكية . وهذا هو السبب الوحيد في أن الثورة الإسلامية في إيران لم تتمكن من التصالح مع الولايات المتحدة لأن الولايات المتحدة لا تريد أن ترى حكمًا إسلاميًا حتى لو وفر لأبنائه الديمقراطية المناسبة وحافظ على موارد البلاد وكافح الفساد وجعل الدولة ذا قيمة حقيقية على المستوى الدولي . وليت الذين يتخذون إيران نموذجًا لإفزاع شعوبهم من المصير يحققون جزءًا في المائة مما تتمتع به إيران فلديها ديمقراطية يحسدها عليها الغرب نفسه ، وتخطب ودها الدول الأوروبية وتنهال عليها الاستثمارات الأجنبية من كل صوب رغم العقوبات الأمريكية ، وليس سرًا أن المصالح الأوروبية في إيران دفعت إلى الخلاف بين أوروبا والولايات المتحدة ولعلي أذكر مثلاً واحدًا للذين يسوقون نموذج إيران للتخويف وهو آن الرئيس خاتمي رفض زيارة فرنسا حتى امتثلت باريس لطلباته وهي عدم تقديم الخمور في الحفلات وعدم ظهور النساء كاسيات عاريات في وجوده رغم أن محمد خاتمي كان الرهان الأوروبي على تغيير النظام وهو محسوب على رأس التيار المعتدل حسب الأوصاف الأمريكية . نذكر أيضًا هؤلاء السادة بأن إيران تلعب بأوراق متعددة وتوسع دائرة دورها الإقليمي في الوقت الذي تنكمش فيه دول كبرى ولا تجد سوى التخويف بدلاً من العمل من أجل استرداد الدور . ولا أظن أنني أذيع سرًا لهم أن ظهور الدور الإيراني جاء جزئيًا بسبب الفراغ الذي تسبب فيه انكماش الدول العربية الكبيرة التي لم تعد تذكر من ذلك الدور سوى الأوهام وأحلام الماضي التي تجترها في أحلام اليقظة . نذكر هؤلاء السادة أيضًا

بحادثة وقعت في طهران عام ٢٠٠٤ وهي أن السفير الألماني ممثلاً للاتحاد الأوروبي قدم احتجاجًا للحكومة الإيرانية على ما اعتبرته أوروبا سلوكًا لا يعجبها في إحدى القضايا فطردته الخارجية الإيرانية ورفضت عودة السفير الألماني إلا بعد ترضيات كبيرة ولم يفعل الاتحاد الأوروبي شيئًا لاستنقاذ هيبة ألمانيا إزاء طهران .

وأخيراً فلا أظن أن تولي الإسلاميين ، فضلاً على النموذج الإيراني سوف يؤدي إلى عزلة البلاد ، فالعزلة الحقيقية هي البطالة السياسية من كل دور الذي تعانيه الدول العربية الكبيرة بل والأدوار الغربية التي تسند إليها والتي لا نظن أنها تخدم مصالح شعوبها .

لست بحاجة أخيرا إلى القول بأن الشعوب العربية ترفض الحكومات الدينية التي تقوم على أساس قياس درجات الإيمان عند الحكام وتصر على قياس درجات النقاء والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان ومحاربة الفساد واستخدام موارد الدولة فيما ينفع المواطنين وأن يعرف لدولته قدرها على خريطة العالم أما ديانته ومذهبه وتدينه فهذا أمر يحاسبه عليه خالقه يوم الحساب ، وأما حساب الشعوب فهو حساب فوري ، ودعني أقول بصراحة أنني من فرط ما أصبت من يأس في أي إصلاح صرت أردد ما قاله ماوتسي تونج من أنه لا يهمه لون القط مادام قادرًا على اصطياد الفئران ، أليست مقولة التخويف من الإسلاميين ذريعة جديدة للدفاع عن السلطة وحراسة الأحوال المتدهورة ، وأليست هذه النغمة انتهاكًا لحقوق أفراد هذه التيارات الإسلامية في وطنها ، وأليست رخصة لمصادرة حرياتهم وحقهم في أوطانهم ، وأليست دعوة صريحة للعمل السرى وتعريض البلاد لأكبر الأخطار ، فمن الذي يعرض إذًا أمن البلاد للخطر : احترام الدستور وقوانين البلاد والمواطنين ، أم دفع التيارات الإسلامية إلى أوكار تعبث فيها بمستقبل البلاد وبأمنها رغمًا عنها .

| 5 |

هل تجدد إيران دعواها على البحرين؟

أثار المقال الذي نشره آية الله شريعتمداري في صحيفة كيهان إنترناشيونال التي يرأس تحريرها زوبعة في البحرين وما حولها. ومن المفيد في هذه المقالة أن نحلل الحدث وأبعاده ومدلولاته، ونقيم طريقة معالجته على كل المستويات والأوساط.

وتحليل هذا الحدث يستدعي عدداً من التساؤلات أولها: كيف نكيف مقال شريعتمداري الذي أكد فيه تبعية البحرين لإيران وعدم مشروعية التسوية التي تمت بشأن هذه القضية؟ هل هو مجرد مقال صحفي كما قال وزير خارجية إيران الذي سارع إلى زيارة عاجلة وقصيرة للبحرين طمأن فيها القيادة والشعب في البحرين إلى أن الحكومة الإيرانية تعترف باستقلال البحرين وعروبتها.

و إذا كان المقال مجرد مقال صحفي وليس موقفًا رسميًا، فقد أوضح وزير الخارجية الإيراني أنه لا يجوز الاعتذار عن مقال صحفي غير رسمي، فهل يستوي مقال يكتبه كاتب أو مفكر ومقال يكتبه الممثل الشخصي للمرشد الأعلى للثورة الإيرانية؟ وهل هذا المقال يعكس التفكير الرسمي لإيران بطريقة أخرى، أم يكشف عن تيار فكري في قلب النخبة السياسية لا يزال قائما؟ وإذا صح أن المقال يؤشر على نية رسمية إيرانية لإثارة هذه القضية، فهل الهدف هو استحضار الماضي وإعادة

إنتاجه وإحياء موقف إيران اصطدم في ذلك الوقت مع واقع آخر محلي ودولي؟ ولماذا تحيى إيران مفردات الماضي الذي تجاوزه الزمن، أي ما هي دوافع إيران لهذا الموقف خاصة وأن تفسير المقال شدد على تبعية الجزر العربية الثلاث لإيران فأغضب أيضا دولة الإمارات العربية المتحدة ومع مجلس التعاون الخليجي؟

وهل فوجئت إيران بموقف البحرين والدول الخليجية؟ وهل تدرك إيران أن مثل هذا الموقف يفرح الولايات المتحدة ويساعدها على ترويج الصورة السلبية لإيران وتخويف المنطقة منها، خاصة إذا اقترنت الأطماع الإقليمية بتنامي القوة النووية والتقليدية لإيران؟ الحق أن البحث فيما إذا كان المقال يعبر أو لا يعبر عن رأي الحكومة الإيرانية قد يخدم قليلا في التحليل ولكنه قد لا يكون حاسما في ضوء اعتقادنا بأن الكاتب يقع في دائرة صناعة القرارات العليا وأنه من النخبة السياسية الرئيسية، ولم يكن ذلك تصريحا وإنما مقال منشور في جريدته. فلا يمكن القول والحل كذلك أن المقال صحفي وأنه لا يعبر إلا عن رأى صاحبه. وحتى لو كان المقال يعكس اتجاها صغيرا في إيران، فإن إحياء هذا التيار يضر ضررا بليغا بالعلاقات الإيرانية العربية.

أما آثار المقال فيمكن القول أن هناك آثارا يفترض أن يكون مقصودا إحداثها، وآثار أخرى تترتب بالتبعية دون قصد الفاعل فيها. فقد استخدمت الولايات المتحدة وإسرائيل هذا المقال للدليل على أطماع إيران، مما دفع كتابا في البحرين وفي غيرها إلى المقارنة بين الخطر الإيراني والخطر الإسرائيلي وأكدوا على اتجاه أعرض في العالم العربي تشكل إبان الأزمة النووية الإيرانية، ويرى أن خطر إيران أقرب وأكثر خطورة احتمالا من خطر إسرائيل التي لا تهاجم ولا تهدد من يطبع العلاقات معها، بينما إيران تنقض وتطمع في جيرانها وأصدقائها

وإذا كانت دول مجلس التعاون قد دانت المقال الإيراني وتمسكت بعروبة البحرين واستقلالها، فقد لوحظ على رد الفعل في البحرين ارتفاع نبرة التنديد بإيران لدى أوساط تعادى أصلا إيران على حلفيات كثيرة، فكل من يعادى حماس وحزب الله ويعترض على سلوك إيران في العراق ولبنان وفلسطين انبرى للتنديد بإيران أما الموقف الرسمي فقد اكتفي بالتأكيد على عروبة البحرين واستقلالها وأعلن قبوله تطمينات وزير الخارجية الإيراني دون أن يضطره إلى الاعتذار بل اعتبر أن زيارته غير المخططة سلفا دليلا على حرص إيران الرسمية على إزالة ما أحدثه المقال من توتر ، كما أن الوزير البحريني التزم الحذر في تصريحاته حرصا على محاصرة الفتنة، وآثر أن زيارة الوزير الإيراني بعد أن طلبت الحكومة البحرينية تفسيرا رسميا لهذا المقال، ولم يسارع الوزير البحريني إلى تلبية طلب مجلس النواب لمناقشة الموقف، ولكن الحكومة تركت لمختلف طوائف الشعب البحريني أن تعبر عن رفضها لهذا الموقف. وسط هذا الردود كان موقف صحيفة الوسط الشيعية وكتابها لافتا حيث أدانت بشكل حاد أحيانا الموقف الإيراني، فأثار ذلك الطمأنينة لدى دوائر السنة، التي شك بعضها في جدية الموقف الشيعي.

وإذا كانت هذه الردود متوقعة خاصة من شيعة البحرين الذين يؤكدون عروبتهم وانتماءهم للبحرين وحرصهم على استقلالها، وإذا كان المقال قد أدى إلى كل هذه الآثار السلبية، وأن العمل بموجب هذا المقال مستحيل، أي الاستيلاء الإيراني على البحرين، فإننا نظن أن أخطر تداعيات هذا المقال هي أن المقال بعث برسالة إلى البحرين والمنطقة وهي ضرورة الوجود العسكري الأمريكي لحمايتهم من إيران هذه المرة بعد أن حمتهم هذه القوات من خطر العراق بعد تقليم أظافر النظام السابق. ولذلك فإننا نعتقد أن التفسير الممكن لدوافع نشر المقال ليس قطعا

التذكير بماضي قد ولى بعد أن حسم أهل البحرين أمرهم مرة في استفتاء الأمم المتحدة عام ١٩٧٠ ومرة أخرى في الاستفتاء على الميثاق الوطني في إطار المشروع الإصلاحي عام ٢٠٠١، ومرة ثالثة الرد الجماعي الذي يصل إلى حد الاستفتاء على هذا المقال، وإنما المرجح عندنا هو أن إيران لا تنوي استفزاز البحرين أو الإمارات، وإنما أرادت أن توجه رسالة إلى الولايات المتحدة مؤداها أن لديها مزيد من الأوراق لابد من الالتفات إليها وهي قضية البحرين والجزر، ويمكن المساومة عليها ضمن نطاق عريض من المسائل عندما يحين موعد التفاوض. ولا يمكن أن نغفل عن صدور المقال في نفس الوقت الذي طلبت فيه إيران من الولايات المتحدة استئناف المفاوضات، بينما تردد واشنطن اتهامها لإيران بمساندة الأعمال المناهضة للقوات الأمريكية وإحباط مخطط بوش حول أمن العراق بما يعني أيضا انقلاب إيران على المالكي الذي يتعاون مع واشنطن في خطة تريد إيران أن تنقل للولايات المتحدة أن بيدها نجاحها أو إفشالها.

ولذلك لا نعتقد أن المقال قصد به تجديد دعوى إيران التاريخية على البحرين، لأن تجديد الدعوى سوف يستحضر بالضرورة درسا، مفيدا لواشنطن وليس إيران، وهو أن الطرف الغربي هو الذي يتصدى دائما للأطماع الإيرانية في الخليج.

وأخيرا، فلا شك أن المقال الإيراني يعد اختبار الخيار الأمن القومي العربي الذي صدر المقال وهو في أسوأ حالاته.

| 6 |

انقلاب الموقف الإيراني إزاء تقسيم العراق (١-٢)

أعلنت إيران يوم ٣/ ١٢ / ٢٠٠٦ معارضتها لتقسيم العراق ، فما هو مغزى هذا الموقف ؟

لقد كان تقسيم العراق عنوان قديم تداولته الأقلام العربية واتهمت الولايات المتحدة وإيران بالسعي إليه للقضاء على دولة عربية أساسية في النظام العربي وإن كان نظامها السياسي قد دفعها إلى مناهضة هذا النظام لأكثر من ربع قرن ، وأحد أهم مهددات الأمن لأعضائه المجاورين للعراق . وقد تناولت هذه النقطة في مناسبات عديدة من واقع استقراء السياسات الأمريكية خاصة بعد تحرير الكويت عام ١٩٩١ وإنشاء مناطق الحظر ثم الغزو الأمريكي والتحالف مع الأكراد وتواتر التقسيم الثلاثي : الأكراد ، الشيعة ، والسنة العرب ، في الإعلام والسياسة على المستوى الدولي والعربي .

فالاعتقاد بأن تقسيم العراق جزء من سياسة أمريكية واضحة أمر لا يحتاج إلى بيان ولا يمكن معارضته أو نفيه في ضوء السلوك الأمريكي على الأرض ، ولكن النية الرسمية الأمريكية لتقسيم العراق لم يعلن عنها في هذه المرحلة ، ولكن السلوك الأمريكي يؤكدها في نظر أي مراقب .

أما تقسيم العراق كهدف إيران فهو أمر مفترض في ضوء تاريخ العلاقات

الإيرانية- العراقية المضطرب خاصة الحرب الطويلة بين البلدين وتقديم العراق في هذه الحرب التي قام بها نيابة عن الولايات المتحدة وغيرها على أن العراق ينوب عن كل العالم العربي في رد القوة الإيرانية السياسية والعسكرية عن الإضرار بمنطقة الخليج وتهديد المصالح المشتركة الأمريكية والعربية .

ولذلك فإن سعي إيران إلى تقسيم العراق والقضاء عليه أمر مفهوم لأن إيران تريد القضاء على الدولة الوحيدة التي تجرأت على شن حرب عليها ، وكانت رأس حربة لكثير من الأطراف خاصة الطرف الأمريكي ، فكأن الولايات المتحدة كانت تحارب إيران بدماء العراقيين وأموالهم بسبب طبيعة نظام صدام حسين الذي أفلحت واشنطن في استثماره .

وتقسيم العراق بالنسبة لإيران يعني أن يكون للشيعة دولة في العراق يمكن أن تتحد مع إيران ضد غيرهم ، ومادام الانقسام على أساس طائفي ، فإن قيام دولة للشيعة سوف يشجع الأقليات الشيعية الأخرى على التمرد على أوطانهم فيتم تمزيق المنطقة العربية في الخليج .

والحق أن المراقب لسلوك إيران في هذه المنطقة كان يلمح بسهولة أن هذا هدف إيراني ، وربما التمس المراقب العذر لها لأن إيران من حقها أن تفكر في تعظيم قدراتها وأن تعيد ترتيب نظرية الأمن القومي الإيراني وفق الفرص المتاحة أمامها .

فإذا كان تمزيق العراق وإلغائه هدفًا أمريكيًا وهدفًا إيرانيًا ، فكان يفترض أن يتلقي الطرفان عند هذا الهدف خاصة وأن واشنطن هي التي لعبت الدور الرئيسي في عملية جراحية كاملة لتمزيق العراق ، وأظن أن الولايات المتحدة لا تزال تلعب نفس الدور وتسعى إلى نفس الهدف لأن إلغاء العراق العربي مهما كان منحرفًا عن البوصلة العربية ومهما كان طيعًا لها من خلال قيادته التي لم ترفض لها أمرًا في التآمر

على المنطقة العربية ، هو في نهاية المطاف جزء من تصور أمريكي واضح لكل مراقب مدقق كما أنه من أهم الأهداف الإسرائيلية ، لأن العراق بمكوناته وقدراته كدولة عربية كان يمثل ولو نظريًا جزءًا هامًا من القوة العربية الشاملة . وكانت إسرائيل تتعامل معه على هذا الأساس ، فتكون إزالته مع تحييد مصر إنجازًا ضخمًا من وجهة نظر الأمن الإسرائيلي .

أما من وجهة النظر العربية ، فإن استمرار العراق كدولة لا يختلف عليه اثنان وأن المشكلة مع العراق من المنظور العربي كانت قاصرة على سلوك نظامه الذي هدد أمن الدول المجاورة بعد أن كان يفترض أنه الأمين على أمنها .

والحق رغم مرارته أن العراق لم يكن يومًا جزءًا من الإجماع العربي في القضايا القومية وكان مثير الشك في نفوس الجميع بنظامه الحزبي وعمله السري وهذه نقطة يعرفها التاريخ السياسي جيدًا لهذه المنطقة . ولكن أضرار العراق تحت نظام معين لا يبرر مطلقًا القول بأن تقسيمه والقضاء عليه إزالة لخطر حال على جيرانه ، رغم صعوبة الفصل عمليًا بين إصلاح النظام دون الإضرار بجسم الدولة ، وللأسف فإن إخراج الروح الشريرة من جسد الدولة العراقية أدى إلى إفناء الدولة نفسها ، وتلك نقطة جوهرية طالما دعونا مثقفين ومفكرين إلى بحثها وتسويتها قبل فوات الأوان ، ولكن الكتّاب والمفكرين لسوء الحظ انقسموا حول الولاء أو العداء لصدام حسين دون أن يتجاوزوا هذا الخط السطحي إلى جوهر المشكلة في العراق . ترتب على هذا الموقف العام الذي أشير إليه وهو تردد المواقف العربية الحقيقية بين معاداة النظام دون معاداة الدولة وصعوبة إلغاء النظام بغير إلغاء الدولة إلى ظهور موقف عربي عام ظاهري يتمسك بوحدة العراق وبقائه ولكنه لاعتبارات أمنية وتاريخية يرى أن تقسيم العراق فيه قضاء على القوة العراقية التي تحالفت دومًا مع

الولايات المتحدة ولعبت معها دورًا أضر بمجمل المصالح العربية .

ولكن السؤال الذي يجب أن يطرح بجدية في هذه المرحلة هو : هل تقسيم العراق يخدم المصالح العربية منظور إليه بشكل عام أم أنه يصعب تحديد هذه المصالح العربية وأن الدول المجاورة وحدها هي صاحبة الحق الشرعي في تحديد الأصلح لها وأي عراق يحقق لها مصالحها أو أن اللاعراق أصلاً هو الحل ، وهل يظل التقسيم أيضًا مصلحة أمريكية وإيرانية بعد أن ظل سياسة إيرانية وأمريكية ؟

الذي يدعونا إلى طرح هذا السؤال هو الانتقال من رصد السياسات والمصالح المفترضة أحيانًا إلى معالجة الموقف على ضوء السياسات المتغيرة لهذه الأطراف الثلاثة : الإيرانية والعربية والأمريكية ، وكانت إيران هي الأسبق في مفاجأة المراقبين برفض التقسيم يوم ٣/ ١٢/ ٢٠٠٦ وهو ما يحتاج مع غيره من المواقف العربية والأمريكية إلى مزيد من التعمق في التحليل .

| 7 |

انقلاب الموقف الإيراني إزاء تقسيم العراق (٢-٢)

إذا كانت الأطراف جميعًا بدرجات متفاوتة قد انجرفت أو خططت لتمزيق العراق وإشعال الحرب الأهلية كأداة لتقسيم البلاد على أساس طائفي ، فما الذي غير المواقف من الرغبة في التقسيم إلى المحافظة على وحدة البلاد ؟

يفترض مبدئيًا أن تعمل إيران كما تردد في مناسبات عدة إلى تقسيم العراق حتى تقضي على دولة كانت تناصبها العداء لأي سبب ، وخاصة أن العراق بلد عريق في عروبته ، وأن ينقسم العراق على أساس طائفي مما يضمن ولاء الشيعة وإن كان البعض قد رأى أن شيعة العراق ليسوا دائمًا على وفاق في كل شيء مع طهران ، بل ربما تنشأ بانقسام العراق قبلتان للشيعة وأماكنهم المقدسة وهما : قم في إيران والنجف الأشرف وكربلاء في العراق ، وقد يكون لهذه المنافسة آثارها الاقتصادية والسياسية والدينية . ولكن واشنطن تصرفت في العراق بشكل يؤدي حتمًا إلى تقسيمه طائفيًا ، فهل فعلت واشنطن ذلك خدمة لإيران أم أنها لم تفطن إلى هذه النتيجة ؟ المهم أنه يبدو أن إيران قد أدركت أن تمزيق العراق لن يؤدي إلى إنشاء دولة شيعية لأن ذلك سوف يثير الدول العربية المجاورة حتى تلك التي كان العراق الموحد مهددًا لأمنها، وربما وجدت من الأوفق والأسهل والأضمن أن يكون

العراق موحدًا تحت سيطرة شيعية فتضمن بذلك دولة كاملة تسير في فلكها . ولذلك يبدو المواقف في العراق في أحد القراءات للموقف العراقي أنه صراع أمريكي إيراني على العراق .

ولاشك أن إسقاط نظام صدام حسين كان جزءًا كافيًا شافيًا لغليل الإيرانيين ضد من مات عنه الخوميني وهو يوصي بالانتقام منه ، ومن بلده وقد حدث ذلك دون أي جهد إيراني ، وقدمت واشنطن العراق ذات يوم لإيران على طبق من ذهب بعبارة الأمير سعود الفيصل ، ولذلك فإن مصلحة إيران أن يكون الحكم شيعيًا في العراق وأن تكون المسافة بين هذا الحكم وطهران كافية لكي يلعب الحكم بين إيران والولايات المتحدة وهو ما بدا يظهر الآن .

لقد أرادت إيران أن ترد عمليًا على الاتهام الأردني بنشأة الهلال الشيعي ، رغم أن تمزيق العراق تمامًا وعدم قدرته على التماسك من أهداف الأمن القومي الإيراني لسبب بسيط وهو أن العراق هو وحده الذي هدد الأمن الإيراني وأن العراق كانت رأس الحرب الدولية ضد طهران .

يوازي الموقف الإيراني الذي يبدو أنه يغفل حاليًا تقسيم العراق موقف أمريكي متخبط لا يفهم المراقب يقينًا ماذا يريد حقًا وإلى أين يتجه : هل يريد أن يهرب من العراق ويغسل يديه ويندم على إقدامه على الغزو أو على الأقل استمراره في الاحتلال ، أم أن واشنطن تريد العراق بثمن معقول ولن تفرط فيه ما لم ترغم على ذلك إن استمر النزيف ، وهي في سبيل ذلك مستعدة للالتقاء مع إيران عند نقاط جوهرية أولها المحافظة على شكل العراق الموحد الطائفي حتى النخاع من الداخل وهذا هو جوهر التعاون المطلوب بين إيران والولايات المتحدة .

من ناحية ثالثة ، فإن الجانب العربي بأكمله كان يدرك أن العراق القوي كان دائمًا

مهددا لأمن الخليج ، وأن العراق الضعيف يزيل خطر هذا التهديد ، ولكن هذا الضعف لا يجب أن يصل إلى حد دمار العراق وتقسيمه لأن ذلك سيؤدي إلى الفرز الطائفي ، كما يؤدي أيضًا إلى توحش إيران ، وإلى فراغ عربي في الخليج يفسح المجال لصراع أمريكي إيراني وهو بالضبط ما يحدث الآن .

وهكذا تحول تقسيم العراق كمصلحة إيرانية وأمريكية وخليجية إلى إضرار بالمصالح الثلاثية ، فانقلب هدف التقسيم إلى هدف المحافظة على شكل العراق الموحد ، بل نلاحظ في الخطاب السياسي الكردي كجزء من هذه اللعبة والحسابات على جثة العراق حرص الأكراد على استمرار العراق رغم تأكيدهم على رغباتهم القومية والانفصالية وتلويحهم بأنهم أقرب إلى السنة سياسيًا بعد أن كانوا أصدقاء أو على الأقل أعضاء في معسكر واحد ظهر مع غزو العراق يقوم على أساس مهادنة الاحتلال عند الشيعة ومساندته بشدة عند الأكراد .

فإلى متى تتقلب الحسابات الإقليمية حول تقسيم العراق ووحدته ،وهل يظل المحافظة على وحدة العراق هدفًا متوازيًا وليس مشتركًا للأطراف الإيرانية والأمريكية والعربية ؟

وأخيرا يجب أن نعترف بأن الحسابات الإيرانية الأمريكية أصبحت العامل الأساسي ، رغم عدم ثباته ، ولكن العامل الأهم يجب أن يكون الجانب العربي هو الطرف الأقوى في المعادلة وأن الإصرار على وحدة العراق وسلامة أراضيه لن يؤدي إلى إعادة شبح العراق المهدد لجيرانه ، ولكن الخطر الأكبر هو أنه لا يمكن تفادي العامل الإيراني والأمريكي وإصرارهما ، منفردين على التمسك بنفوذهما ومصالحهما في الساحة العراقية .

وخلاصة ما تقدم : أن جميع الأطراف نظرت إلى وحدة العراق وتقسيمه من

منظور المصالح الخارجية ، ولذلك لن يعرف العراق السلام والاستقرار ما لم يتحول العالم العربي إلى لاعب حاسم في الساحة العراقية وأخشى أن يكون تجسيد ذلك قد أصبح ضربًا من الخيال .

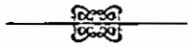

obeikandl.com

| 8 |

صورة العرب كما تريدها إيران

ملاحظة أولية لابد من تسجيلها تتعلق بمنهج معالجة الموضوع وهى أن الكاتب العربى يستطيع أن يحدد صورة إيران التى يريدها العرب، دولة إسلامية تدعم القضايا الإسلامية وتتعاون معنا فى دعم القضايا العربية ولانلزمها بالميل نحو القومية العربية وأحلام الوحدة العربية ونتحاور فيما ينشب بيننا من خلافات أو منازعات مع عدم مصادرة حق إيران فى القضايا المشروعة حتى لو تعلق الأمر بصراعات مع غيرنا.

وهكذا يريد العرب إيران الجارة المسالمة المتعاونة التى لاتفرض موقفاً بشأن الجزر ولاتنازع من حين لآخر فى استقلال البحرين، ولاتتدخل بأى شكل فى شئون الدول العربية خاصة تلك التى يكون الشيعة من مكونات شعبها.

أما صورة العرب كما تريدها إيران. فلاأظن أنها مستمدة من أدبيات وكتابات إيرانية بالقدر الكافى، لأن الصورة المتبادلة ليست وحدة من الجانب العربى، كما أن صورة العرب الحالية والمثالية ليست واحدة عند إيران، وإنما تتنوع بتعدد الدول العربية ومدى علاقاتها بإيران. وبخلاف هذا التحفظ العام على منهج المعالجة، هناك قناعات عامة يعبر عنها الإيرانيون فى صدد نظرتهم إلى العالم العربى، وأول هذه القناعات هى : أن التحالف السياسى الأمريكى مع الدول العربية هو فى نظر

إيران الذى يصادر حرية الدول العربية فى التواصل مع إيران. وتطبيقاً لذلك تعتقد إيران أن عمق العلاقات المصرية الأمريكية والإسرائيلية لايسمح لمصر بإنشاء علاقات دبلوماسية مع إيران. كذلك تشعر إيران أن من حقها التعريف بالمذهب الشيعى ونشره باعتباره فصيلاً منفردا من مدارس الفقه والممارسات فى الإسلام ولاتجد إيران حرجاً بل إنه واجب وحق لكل مسلم أن يلم بالمذهب الشيعى، ولولا عنصر الولاء السياسى فى هذا القول لما أثار حقيقة بعض الدول العربية. ولذلك أبدت طهران دهشتها من قرار المغرب بقطع علاقاته الدبلوماسية معها لهذا السبب. بل إن هذا العامل هو الذى يعقد الموقف الأمنى فى بعض الدول العربية من إيران ويخلط عادة بينه وبين محاولات التجسس وتجنيد العملاء وهو عمل مألوف فى جميع بلاد العالم فى كل العصور حتى بين الدول الحليفة والصديقة.

يبدو أن إيران تريد أن يقدر العالم العربى جميلها فى دعم المقاومة العربية ضد إسرائيل ولا تتعجل أن يقوم العرب بهذا الدور أو تقوم الحكومات نفسها نيابة عن المقاومة بذلك، مثلما تتمنى إيران أن تتخلص الدول العربية من النفوذ الأمريكى وأن تملك إرادة التحدى لواشنطن مثلها مادامت واشنطن تدعم إسرائيل بشكل أعمى ضد المصالح العربية ولاشك أن عدم دعم العرب للمقاومة وتجريم هذا الدعم يضع إيران فى دائرة الاستهداف ويجعل اللقاء بين الطرفين حول المنطقة بحاجة إلى الحوار.

تقدر إيران للعالم العربى إجماعه على حق إيران فى حيازة الطاقة النووية للأغراض السلمية ولكن الخليج بالذات يخشى من تحول إيران إلى قوة نووية فتجور عليه سياسياً وعسكرياً وتلجئه إلى مزيد من الارتباط بالغرب طلباً للحماية، مثلما يتخوف من الآثار البيئية للمشروع الإيرانى، ورغم ذلك أعلنت ١٣ دولة

عربية عن عزمها على حيازة التكنولوجيا النووية أيضاً تأمل إيران أن تتفهم الدول العربية تمسكها بالجزر الثلاث لاعتبارات تراها تاريخية واستراتيجية، كما ترى أنها كانت ضمن صفقة مع بريطانيا، وهذا يتطلب حوار بين موقفين متناقضين تماماً، كل مصر على حقه فيه.

يبدو أن إيران ترى أن ضعف الاتجاه القومى حالياً يساعد على الحوار والتلاحم بخلاف الحال عندما يشتد المد القومى الذى يتصادم فى بعض المواقع مع القومية الفارسية وتوجهاتها. وتشعر إيران بأنها ظلمت منذ قيام الثورة وأن العرب تحالفوا مع أمريكا والعراق لقمع الثورة وأنه تمد الجسور لكنهم يتجاهلونها، وأن موقفهم منها تحكمه واشنطن وليس النظر المستقل إلى جوهر المصالح العربية.

بقيت معضلتان: الأولى تتعلق بموقف إيران فى العراق، والثانية تتعلق بعلاقة إيران بالشيعة العرب. أما موقف إيران فى العراق، فإيران تظهر حرصها على زوال الاحتلال وأنها تريد أفضل العلاقات مع العراق رغم اتهامها بأنها ساندت ميلشيات لتصفية السنة. ولكن إيران تريد أن يسلم العرب بأنها تعرضت لعدوان صدام حسين وأن من حقها أن تؤمن أراضيها من جهة العراق، وأن يسلم العالم العربى بأن مصير العراق بسبب كل ماوجدت ترسمه طهران وواشنطن مادام العالم العربى ليس طرفاً فى الساحة العراقية.

أما موقف الشيعة فى العالم العربى فترى إيران أن العلاقة المذهبية حقيقة لكنها تنفى أية تبعات سياسية بالتأكيد أحياناً على هجر نظرية ولاية الفقيه التى تجعل زعيم الثورة فى إيران زعيماً سياسياً لكل شيعة العالم.

إن شعور إيران بأن العالم العربى قد وقف مواقف سلبية أحياناً ومعادية أحياناً أخرى، فضلاً عن شعور الأقلية الطبيعى فى العالم الإسلامى والشعور عند الشيعة

بالمظلومية انطلاقاً من ظلم سيدنا الحسين بن على سيد الشهداء وعترة آل البيت. كذلك فإن إيران تحملت كافة أنواع الضغوط منذ ثورتها الإسلامية فزاد من قدرتها على الصمود وتطوير قواها الذاتية والثقة فى قدراتها. وأخيراً، فإن إيران تستنهض التراث الحضارى لفارس عبر العصور، ومهما شابت النفس الإيرانية عبر التاريخ بعض الأمور ضد العرب فالمحقق أن إيران تريد عالماً عربياً متفهماً لطموحاتها، ولكنها ربما لاتدرك أن ساحة حركتها هى نفسها الساحة التى تخلت عنها الدول العربية ولهذا فإن الحوار له ما يبرره لتحديد مجالات الحركة، وأن توضع قواعد للحوار والعيش المشترك وليس على أساس فرض واقع وانطلاقاً من فرضيات القوة الجديدة، لأن حسن الجوار أكثر نفعاً لإيران من التعامل مع العالم العربى بمنطق حسابات القوة المعروفة فى العلاقات الدولية.

هذه ورقة من أوراق الحوار، ولكن تأصيل قواعد الحوار ومؤشراته وموضوعاته الشاملة تتطلب معالجة أخرى إذا تقررت أهمية الحوار العربى الإيرانى من الطرفين وأبدى الطرفان حرصاً متبادلاً وماثلاً على عقده وإنجاحه.

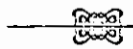

| 9 |

كيف أصبحت إيران الطرف الأهم في الملفات العربية

أعتقد أن تحليل الإجابة على هذا السؤال قد تفيد فى جسم الجدل الدائر حالياً حول محاولة إسرائيل وواشنطن دفع العالم العربى إلى الاعتقاد بأن إيران وليس إسرائيل هى العدو على نحو

ما يرى عدد من الكتاب فى العالم العربى، بل يرى هؤلاء من باب المفاضلة والمقارنة أن إيران هى الأخطر من إسرائيل حتى مع وجود المشروع الصهيونى وتقدمه وتسلحه الفعلى بكل أنواع الأسلحة بما فيها الأسلحة النووية، ومحارقه ومجازره التى لم تتوقف منذ عام ١٩٤٨ وإنكاره حتى الوجود العربى ذاته، وتلك وجهة نظر يجب أن نحترم القائلين بها رغم تهافتها الواضح وبصرف النظر عما يتردد عن الارتباط الأيديولوجى أو المصلحى أو الكراهة لأى سبب لإيران ولنتصل بها وترمز إليه من معانى إسلامية أو طائفية. يبقى فى النهاية أن رأيا يتم التعبير عنه ويشغل حيزاً فى مجال تحليل هذه القضية. نقطة البداية فى هذا التحليل لاخلاف عليها بين مانراه ومايراه غيرنا من الفريق الآخر وهو حقيقة مادية مؤداها أن إيران تعاظم دورها وأصبحت اللاعب الآخر إن لم يكن الأهم فى جميع الملفات العربية وهى العراق ولبنان وسوريا وفلسطين. أما الطرف الآخر فى هذه الملفات فهو إسرائيل وأمريكا فما جعل موقف الحكومات العربية المعارض لإيران فى هذه الملفات يصنف على أنه فى مربع إسرائيل وأمريكا حتى لو أبت الحكومات العربية ذلك كما أن هذا الموقف

يضيف على أنه مناهض بالطبع للمقاومة العربية لكل من إسرائيل وأمريكا، مع فوارق هامة بالطبع فى حالة العراق. وأكاد أقول بأعلى درجة من اليقين أن إيران تقدمت بشكل لافت فى كل الملفات العربية لسببين الأول انسحاب العالم العربى أمام إسرائيل وأمريكا فى هذه الملفات، وتقدم إسرائيل وأمريكا بدل العالم العربى فيهما. أى أن إيران التى تريد أمريكا وإسرائيل اليوم تجنيد العالم العربى ضدها رغم كل ماتفعله إسرائيل فى العرب هى نفسها التى أتاحت لها أمريكا وإسرائيل بغير قصد طبعاً أن تتقدم على الضفة الأخرى عندما انقسم العالم العربى إلى شارع يقف لصد أمريكا وإسرائيل، وحكومات تاهت مواقفها مع كل منهما، فأصبح التوازى فى المواقف باديا حتى لو لم تقصد تحالفات رسمية بين أمريكا وإسرائيل وهذه الحكومات، واكتفت بتفاهمات بدت فى الكثير من المناسبات والسلوكيات. ولذلك فإن دعوة الحكومات العربية إلى الحشد الشعبى ضد إيران واستدعاء الوطنية وحتى الشعور القومى ضدها لدى الشعوب العربية ثم النظر إليه على أنه لصالح أمريكا وإسرائيل وليس للصالح العربى كما تريده هذه الشعوب، بل إن التمادى فى استعداء هذه الشعوب ضد إيران، بينما هذه الشعوب ترى استكانة هذه النظم إزاء إسرائيل وأمريكا يؤدى إلى نتائج عكسية. ولكن النتيجة الأخطر هى أنه إذا استدعت الحكومات الشعور القومى لدى الشعوب العربية ضد إيران لسبب جدى فى وقت تكون فيه مصداقية هذه الحكومات قد تلاشت، فإن ذلك يضر أيضاً بالمصالح العربية. وبقليل من الخيال نستطيع أن نتصور جدلا شكل العلاقات العربية الإيرانية لو لم تكن إسرائيل طرفاً فى المعادلة، وأكاد أقول أن إيران التى كانت حليفاً لإسرائيل ضد العرب فى زمن الشاه وصارت طرفاً فى قضايا العرب ضد إسرائيل يمكن أن تصبح مرة أخرى طرفاً ضد العرب. ولو كانت الساحة قاصرة على العرب وإيران، فربما كان هناك تنافس بين المشروعين العربى والإيرانى، أو تعاون

عربى إيرانى فى مواجهة تركيا، ولكن هذا فرض نظرى جدلى.

ويضيق المقام إذا حللنا كيف أن إسرائيل هى التى تسببت فى تمكن إيران من الملفات العربية. ففى لبنان، لم يكن لإيران أى دور قبل ١٩٨٢ أى تاريخ احتلال إسرائيل لبيروت ودخولها فى معادلات القوى داخل لبنان، فنشأت حزب الله بدعم إيرانى، وكلما تطور الصراع بين حزب الله وإسرائيل وانتكست الخطط الإسرائيلية كلما تعاظم دور حزب الله فى المقاومة كما كبر حجمه السياسى والاجتماعى والطائفى داخل لبنان، حتى نجحت إسرائيل فى تأليب البيئة العربية ضده بسبب دوره أساساً فى المقاومة، هذا تفصيل يضيق عنه هذا المقام. وكلما تألق حزب الله علا نجم إيران فى لبنان، والحل هو انسحاب إسرائيل من بقية الأراضى اللبنانية والسورية وإبرام اتفاقية عدم اعتداء متبادل، وهذا أكثر جدوى من التسوية بين إسرائيل وإيران قفزا على هذا الواقع المعقد.

فى العراق، كانت إيران الشاه هى التى حرضت الأكراد ضد بغداد، وكانت واشنطن وإسرائيل المحرض الأساسى على الحرب المدمرة الطويلة بين إيران والعراق، ثم كانت واشنطن هى التى استدرجت العراق لغزو الكويت وماتبعه من تداعيات انتهت بغزو العراق بمساندة استخباراتية وعسكرية إسرائيلية، وكان ذلك فتحاً لإيران التى تريد إسرائيل وواشنطن ها أن يتأبد نفوذها فى العراق حتى لاتقوم له قائمة كبلد عربى موحد، وهى مهمة مقدسة تريد إسرائيل وأمريكا أن تنجزها إيران. ويبدو أن أى مفاوضات بين الطرفين الإيرانى والأمريكى بشأن العراق لابد أن تراعى هذه المصالح التى تناهض بالقطع الأمل العربى فى العراق على الأقل من الناحية النظرية.

أما فى فلسطين، فقد أدى إنكار إسرائيل بدعم أمريكى لكل حقوق الفلسطينيين

وتوغل المشروع الصهيونى إلى انحسار التصدى العربى الرسمى مع دعم مقاومة الفلسطينيين لهذا المشروع، ثم عندما قرر العرب أن ينفضوا أيديهم من المقاومة تقدمت إيران، وكلما تغولت إسرائيل واستمرت المقاومة كلما ازداد الجهد الإيرانى. الحل ليس فى استئصال المقاومة بكل ماتجره من نفوذ إيرانى، ولكن فى وقف المشروع الصهيونى والإقرار بسلام عادل للجميع، وحينئذٍ لن تجد إيران ساحة لدورها فى المنطقة. أما إذا استمر المشروع الصهيونى وهذا هو المؤكد، فإن الصدام بينه وبين المشروع الإيرانى يبدو محتما إلا إذا تم التنسيق بينهما يوماً ما، وهذا أمر ليس مستبعداً.

وأخيراً، فإن الخط العام لهذه المقالة لا يجوز أن يفهم على أن المشروع الإيرانى هو المشكلة ولكن الغرض الأساسى هو دفع الحجة الإسرائيلية والأمريكية التى تريد أن تمهد المنطقة للمشروع الإسرائيلى و تزيل العقبات الإيرانية من طريقه، كما أنه من الواضح أن الأداء العربى السلبى قد ترك الساحة العربية فراغاً يستدعى كل قادراً على أن يملاه.

10

كيف نقرأ الاحتجاج على انتخابات إيران؟

جرت الانتخابات الإيرانية وفق الأوضاع الدستورية والقانونية فى إيران، ولكن ظهور النتائج التى فاز فيها أحمدى نجاد بهذه الأغلبية الكاسحة استتبع الاحتجاج والتشكيك فى صحة الانتخابات من جانب موسوى أقوى المنافسين لنجاد. ارتفعت وتيرة الاحتجاجات واشتد تمسك موسوى بموقفه وإن كان قد نصح أنصاره بعدم التجمهر والتظاهر مما بدا معه أن الشارع الإيرانى أصبح منقسماً انقساما موازيا للانقسام بين الساسة. فى قراءة المشهد الإيراني يجب أن نشير إلى أربعة أحداث: الأول : هو أن المرشد الأعلى للثورة الإسلامية بادر إلى مباركة النتائج بأفضل العبارات واعتبرها نصراً من السماء، بينما اعتبر أحمدي نجاد هذا الفوز صفعة على وجه الغرب. الثانى : هو أن المرشد الأعلى تشدد على حق الاحتجاج على النتائج ولكن بالطرق القانونية، ويبدو أنه ليس من بينها المظاهرات خشية الاحتكاك بين مؤيدي الفائز والخاسر.

نضيف إلى ذلك أن المرشد الأعلى اضطر فيما يبدو إلى توجيه مجلس الرقابة الدستورية، أى مجلس تشخيص مصلحة النظام إلى تقديم حلول وسط من أهمها قبوله إعادة فرز الأصوات فى الدوائر المطعون فيها. الحدث الثالث : هو استمرار

التظاهر رغم قرارات وزارة الداخلية بمنعها ورغم حظر الإعلام الدولى لنقلها إلى العالم الخارجى.

أما الحدث الرابع والأخطر : فهو الاهتمام المبالغ فيه من جانب الغرب بزعامة الولايات المتحدة واستدعاء السفراء الإيرانيين لدى فرنسا وبريطانيا وألمانيا لتفسير موقف السلطات الإيرانية من قمع المتظاهرين واحتجاج الغرب على النتائج واتهام ساركوزى لها بأنها نتائج مزورة، وتردد دعوات إلى إعادة هذه الانتخابات تحت رقابة دولية للتأكد من صحة تصويت المواطن الإيرانى. بل إن أوباما شدد عدة مرات على نقد النتائج خاصة بعد تزايد اتهام أوساط معينة له بالتراخى فى هذا النقد، وإزاء حرصه على عدم تفسير نقده على أنه تدخل فى الشؤون الإيرانية وحذره فى الاقتراب من إيران تمهيداً لمرحلة المفاوضات معها.

فى ضوء هذه الوقائع الأربع يمكن أن نقدم أربعة قراءات أو تفسيرات لهذه الاحتجاجات:

النظرية الأولى: تفسر هذه الاحتجاجات على أنها جزء من الصراع بين إيران والغرب، وأن الغرب لايهمه ديمقراطية إيران، وإنما يهمه فى المقام الأول استغلال الفرصة لتوسيع الشق داخل النظام حتى يضعفه أو يسقطه ويأتى بمن يستطيع التفاهم معه. ويرى الغرب أن هذه النتائج تقوى تشدد النظام الإيرانى فى المفاوضات أو العقوبات وهى تفويض شعبى بسلامة خط النظام ضد الغرب. ولكن الغرب يرى أيضاً أن هذا التشدد يغلق الباب أمام الحلول السلمية مما يقوى احتمال مهاجمة إسرائيل لإيران عسكرياً، وهو احتمال لم يستبعد يوماً من الحساب، أى أن إضعاف النظام من الداخل يجعله أقرب إلى الاستجابة للحلول السلمية لملف إيران النووى، خاصة بعد أن لاحظ الغرب أن إسرائيل هي الطرف الوحيد الذى أسعدته

هذه النتائج مما يعلى حجة إسرائيل وتصويرها للخطر الإيرانى بقيادة أحمدى نجاد.

على الجانب الآخر: هناك نظرية تستند إلى النظرية الأولى وترى أن الاحتجاجات سببها الغرب وأنها محاولة منه لهدم النظام مما يجعل النظام يشعر بأنه هو المستهدف ويملى على النظام الدفاع عن نفسه لأن إضعافه أو انهياره ضياع للمصالح الإيرانية، فكلما زاد دعم الغرب للاحتجاج كلما تشدد النظام مع المحتجين على أساس أنه يقمع شركاء محليين فى مؤامرة خارجية.

النظرية الثالثة: تضع هذه الاحتجاجات فى إطار الصراع بين الإصلاحيين والمحافظين ولكن المصطلح أطلقه الغرب وتستخدمه الأوساط الإيرانية منذ عهد خاتمى، لدرجة أن شقيق خاتمى نفسه مؤيد موسوى واعتقل فى هذه الأحداث. إذا كان هذا هو الحادث فى إيران فإنه يعنى أن الغرب يؤيد الإصلاحيين ويجب أن يلتقى مع مؤيدى الإصلاحيين داخل إيران الذين لا يرتاحون للهجة التحدى التى يطلقها أحمدى نجاد وأنهم ليسوا منبهرين بوعوده الاقتصادية وفى مجال مكافحة الفساد. هذه النظرية تسمح بانضمام ملايين من الإيرانيين باطمئنان للمطالبة بالإصلاح والاعتدال فى الداخل والخارج، وهو أمر أيضاً لا يزعج القيادة الإيرانية.

النظرية الرابعة: تقرأ المشهد على أن الصراع بين المنتفعين من الثورة والمضارين بدأ يعبر عن نفسه بعد ثلاثين عاماً وأن الانتخابات كانت مجرد مناسبة فجرت هذا الصراع، وأن القضية لا علاقة لها بالغرب أو الإصلاح أو اللبرالية أو الديمقراطية. إذا صح هذا التفسير فإن البلاد التى عرفت أول ثورة شعبية فى القرن العشرين بعد الثورة الشيوعية فى روسيا القيصرية، وعلى أساس أيديولوجى أيضاً سياسى أو دينى، يمكن أن تنزلق بسهولة نحو حرب أهلية، وبذلك تصبح الانتخابات وحتى الديمقراطية نفسها تعبيراً عن ضعف النظام وثغرة لصالح المخالفين له. وقد لوحظ

آن موسوى ظل يؤكد على صلابة نظام الثورة الإسلامية حتى لايتهم بأنه يخرج عن دائرة هذا النظام الذى اختاره الشعب الإيرانى وعبر به كل التحديات السابقة.

والحق أن الذى يحدث فى إيران هو خليط من هذا كله ولعلنا نلاحظ أن كراهية الجميع داخل إيران للشاه وبطشه بالجميع هو الذى أطلق شرارة الثورة عام ١٩٧٩ ولكن الشركاء فى كراهية الشاه والتعاون لخلعه تنوعت اتجاهاتهم بعد خلع الشاه، وكانت البلاد عرضة لانقسام خطير سياسى وإقليمى لولا أن من الله على إيران بجيوش صدام حسين التى فاجأت حركة التصفيات الكبرى التى أجرتها الثورة ضد خصومها حتى أولئك الذين ساهموا فى إنجاحها.

فهل هذه أزمة فى نظام الحكم؟ أم هى ضغوط الخارج عليه ،أم هو تدخل الخارج لشق الداخل كله بعد أن فشل فى المواجهة السياسية؟ أم أنها أزمة مجتمع ارتضى ذات يوم نظاماً ويأمل فى إصلاح أخطاء هذا النظام فاستغل الغرب هذا الهدف النبيل فحاول توظيف هذا الهدف ضمن أجندته فى مواجهة إيران؟.

11

كيف يقرأ العالم العربي الذكرى الثلاثين لثورة إيران؟

لا يمكن القول ابتداء أن العالم العربى الشعبى والرسمى مجمع على قراءة واحدة للثورة الإسلامية فى إيران، ويمكن أن نقسم القراءات للعالم العربى إلى ثلاثة قراءات أساسية، تمثل صورة إيران فى العالم العربى بعد مضى ثلاثين عاماً على ثورتها الإسلامية.

القراءة الأولى: تنظر إلى إيران نظرة تقليدية فى سياق التوجه القومى القديم، فترى إيران وتطورها خطراً على العالم العربى تماماً مثلما كانت تنظر إلى تركيا فى الماضى وإلى إسرائيل، ولم يجد هذا الفريق اختلافاً فى إيران الملكية عن إيران الإسلامية، فكلاهما دولة فارسية لها مشروع يتمدد بطبيعته على حساب العالم العربى على الأقل فى منطقة الخليج، بل يرى جزء من هذا الفريق أن إيران أخطر على العالم العربى من إسرائيل، وأن التفاهم بينها وبين إسرائيل ممكن، ولذلك رأى هذا الفريق خطراً فى التسليح النووى الإيرانى. هذا الفريق تحركه دوافع قومية ودوافع علمانية، من حيث أن إيران دولة أيديولوجية ترفع شعار الإسلام المناهض للاتجاه العلمانى، ولذلك فإن هذا الفريق بشكل عام يرى فى سقوط نظام صدام حسين كارثة وفرصة لإيران للتوسع.

القراءة الثانية : ترى أن إيران دولة إقليمية قامت ثورتها على الفساد والظلم

لتصحيح أوضاع شعبها، وكانت رد فعلها عنيفاً ومتطرفاً على حالة الانفلات الاجتماعى والدينى، والتغليب الذى طمس الهوية الإسلامية للشعب الإيرانى فى عهد الشاه، وأن إيران الإسلامية بسبب زوال الشاه الصديق للغرب، وبسبب الطابع الإسلامى، وبسبب الرغبة فى التحرر من التبعية الغربية فإنها تعرضت للحصار وتحريض العراق عليها لإضعافها وكسر شوكتها، ولكن إيران صمدت فى وجه ذلك كله، وقادت صراعاً سياسياً محموماً ضد الولايات المتحدة، وبذلك دخلت إيران إلى دائرة الاحتكاك «بالنظم المعتدلة» الموالين للغرب والمهادنة لإسرائيل، وأن إيران تمكنت خلال الثلاثين عاماً الماضية من الصمود والاستمرار، ومن توسيع رقعة نفوذها على حساب الانسحاب العربى السياسى من جميع القضايا العربية، بحيث أصبحت إيران الطرف الآخر مع الولايات المتحدة فى جميع الملفات العربية.

أما الدول العربية الرئيسية فقد قنعت بمهاجمة إيران إعلامياً والتحريض عليها سياسياً، وكذلك فعلت مع معكسر المقاومة العربية الذى تسانده إيران، وأن نجاح إيران فى تعظيم أوراقها قد جعلها نداً للولايات المتحدة التى اضطرت فى النهاية إلى الحوار معها وربما اقتسام النفوذ مع إيران، بعد أن تملكت إيران ورقة مهمة فى أفغانستان، وورقة أهم فى التصنيع العسكرى، وورقة ثالثة فى لبنان، وورقة رابعة فى سوريا، وورقة خامسة فى فلسطين، وورقة سادسة مع روسيا والصين، ووظفت قدرتها الاقتصادية لزعزعة التحالف الأوروبى الأمريكى ضدها. يرى هذا الفريق الذى انضم إليه أن إفلاس العالم العربى السياسى وتخليه عن أوراق القوة العربية هو الذى شجع إيران على التقدم فى العراق، ولذلك من مصلحة العالم العربى أن يقيم حواراً بناءً مع إيران، حتى لايصحو يوماً وقد اقتسمت إيران المنطقة العربية مع واشنطن، وتوافقت مع إسرائيل على إحكام السيطرة على الجسد العربى الذى فقد مراكز التأثير والتنفيذ والقرار.

أما الفريق الثالث: فهو الفريق الطائفي، الذى يرى أن الثورة الإسلامية فى إيران محدودة الأثر فى الخارج، لأنها ثورة شيعية وأن ظهورها قد أشاع عدم الاستقرار فى المنطقة، وقوى جانب الشيعة ضد السنة، وأشعل فتيل الأزمة بين المسلمين، كما أن مساندتها للمقاومة العربية التى يراها هذا الفريق تطرفاً وعنفاً لا لزوم له قد فرق العالم العربى بين المقاومة والاعتدال، مثلما فرق النظم العربية داخل الأوطان العربية فى لبنان وفى فلسطين وفى العراق، وقد تسببت هذه السياسة الإيرانية فى توتر العلاقات بين مصر وحماس، وبين مصر وسوريا، وبين السعودية وكل من حماس وسوريا، وبين مصر والسعودية من ناحية وحزب الله من ناحية أخرى. وبذلك أسهمت القوة الإيرانية فى تمزيق العالم العربى وتمزيق الصفوف العربية الداخلية خدمة للمشروع الإيرانى، الذى تمسك بالجزر العربية الثلاث فى الخليج، ولا يفترق فى أطماعه عن إسرائيل تجاه المنطقةُ العربية. فإلى أى القراءات الثلاث تميل أيها القارئ العزيز؟.

12

ماذا لو قبلت إيران المقترحات الغربية؟

لا يزال الجدل محتدما حول ما إذا كانت المبادرة الأمريكية الغربية إزاء الملف النووى الإيرانى مناورة أمريكية أم أن هذه المبادرة مؤشر على تغير استراتيجي حقيقى فى الموقف الأمريكى من الملف الإيرانى. كذلك تحاول الولايات المتحدة استنفاد كل الفرص مع إيران حتى أن وزيرة الخارجية الأمريكية لم تستبعد لقاءات أمريكية إيرانية على المستوى الوزاري أى مفاوضات ثنائية وليس مجرد وجود الولايات المتحدة فى المفاوضات مع الترويكا الأوربية، وهذا تطور كبير أغرى بعض المعلقين بالمضي بعيداً بالتأكيد على أن الولايات المتحدة أصبحت مستعدة لمفاوضات مباشرة مع إيران حول كافة الملفات مما يعنى أن واشنطن تقر بمكانة إيران وجدارتها بالتعامل معها بعد أن رفضت الاعتراف بنظامها منذ قيام الثورة الإسلامية فى إيران وظل الصراع قائماً بينهما حتى الآن. ولم يعلق هؤلاء المراقبين أهمية كبيرة على الموقف الإسرائيلى مادامت المصلحة الأمريكية تتطلب ذلك ومادام التقارب الأمريكى الإيرانى وجد العوامل الموضوعية اللازمة، ومادام هذا التقارب يؤدى إلى ترويض إيران وتخليها عن سلاحها النووى المروع لإسرائيل وقد يؤدى هذا التقارب إلى ما هو أبعد مما ينسجم مع المصالح الإسرائيلية. وهذا الاحتمال والتفسير مقبول إسرائيلياً. ولكن الوجه الآخر للمبادرة الأمريكية ومحاولات استنفاد

كل طرف الاقتراب من إيران هو أن هذا الأسلوب الأمريكى يقصد إلى دفع كل الدول الكبرى بما فيها روسيا والصين إلى الانضمام إلى التحالف الدولى الشامل ضد إيران إن رفضت المبادرة الأمريكية، وبذلك تقضى على كل معارضة أو نقد لسياستها. ومن ناحية ثالثة، نعتقد أن واشنطن تواجه ورطة كبيرة مع إيران، لأنه حتى مع تكتيل المجتمع الدولى كله ضد إيران، فإن وجود قرارات عسكرية لدى إيران وقدرتها على استخدامها يضع الولايات المتحدة فى مأزق كبير خاصة إذا كان لديها قرارات نووية وتستخدمها ضد القوات الأمريكية أو ضد إسرائيل. وموضوع هذه المقالة يركز على التداعيات التى تنشأ عن قبول إيران للمقترحات الأمريكية.

غير أن أهم هذه التداعيات يمكن فهمها بشكل أوضح إذا وضعنا المبادرة الأمريكية فى إطار نظرية الخيارات الأمريكية المتاحة أمام إيران. فقد جربت الولايات المتحدة عزل إيران وتشويه صورتها وفرض العقوبات عليها بل ودفع أوروبا عبثاً إلى الانضمام للعقوبات الأمريكية. كذلك حاولت واشنطن مداعبة شطراً من المجتمع الإيرانى وهو ما أسمته الأدبيات الأمريكية المعتدلين والإصلاحيين ولكن واشنطن اعتبرت النجاح المفاجئ لأحمدى نجاد هزيمة للاتجاه الإصلاحى، وهو مفهوم أمريكى يخضع للمعايير الأمريكية. ولابد أن واشنطن قد لاحظت أن طهران تمارس قواعد اللعبة السياسية وأنها ترسل الإشارات ولكن واشنطن ظلت تتجاهلها أملاً فى أن تحقق واشنطن أهدافها دون مقابل أو تنازلات منها.

بقى منهجان أمام الولايات المتحدة أولهما : ما تسميه الأدبيات السياسية الأمريكية بالارتباط المشروط أى باللغة الدارجة سياسة الحزمة التى تتضمن فوائد التقارب ومقابل التنازلات فى تسوية شاملة أو صفقة شاملة ، وثانى هذين المنهجين هو استخدام القوة المسلحة. فى المنهج الأول تهدف واشنطن إلى تغيير سلوك النظام

وتطويعه أما فى المنهج الثانى فتهدف واشنطن إلى استخدام القوة لتغيير النظام نفسه. ويضرب الأمريكيون مثلاً للمنهج الأول السودان التى تعاونت مع الولايات المتحدة وفق الخطة الأمريكية لمقاومة الإرهاب، ثم لتسوية قضية الجنوب، وأخيراً، للسلام فى دارفور، حيث قايضت الخرطوم تنازلاتها بالضغوط الأمريكية. كما يضربون للمنهج الثانى مثلاً ما حدث فى العراق بإسقاط نظام صدام حسين. وقد أشار فلاينت ليفريت رجل السياسة والمخابرات الأمريكى فى كتابه «وراثة سوريا: اختبار بشار بالنار» الصادر عام ٢٠٠٥ من معهد بروكينجزو الذى أعد خصيصاً بناء على طلب مارتن أنديك مدير المعهد والسفير الأمريكى اليهودى السابق فى إسرائيل والذى كافأته مادلين أولبريت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة على تجسسه لصالح إسرائيل بنقله إلى واشنطن وتعيينه مساعداً لوزيرة الخارجية لشئون الشرق الأوسط وهى نفس المهمة التى يتولاها الآن دافيد والش، أشار ليفريت إلى أن واشنطن يجب أن تجرب مع سوريا منهج الارتباط المشروط والذى لا نظن أن واشنطن مهيأة نفسياً له فى الوقت الحاضر خاصة وأن عسكرة السياسة الخارجية الأمريكية واستمرار سيطرة وزارة الدفاع نسبياً حتى الآن على قرارات السياسة الخارجية يجعل تجربة هذا المنهج صعباً.

ونحن نعتقد أنه فى الحالة الإيرانية، ربما تعرض واشنطن منهج الارتباط المشروط ليس لكى تنفذه ولكن لكى تعد العدة تماماً لضرب إيران، رغم أن واشنطن تناشد إيران قبول المبادرة واستبعاد المواجهة مع واشنطن، وهى لغة غريبة على الإدارة الأمريكية تدل إما على مأزق واشنطن أو على اقتراب ضرب إيران. وإذا صح ذلك، فلابد أن يكون تصريح الرئيس الإيرانى بأنه سيعطى فرصة لدراسة المقترحات الغربية قد أزعج واشنطن، تماماً كما أزعجها مؤشرات قبول صدام حسين بالوساطات التى جرت لكى يقبل الانسحاب من الكويت خلال الأشهر

الثلاثة الأخيرة ٩٠-١٩٩١، لأن قبول العراق بالانسحاب يحبط المخطط الأمريكى الهادف إلى ضرب العراق والتواجد فى الخليج انتهاء باحتلال العراق نفسه.

على أية حال، إذا قبلت إيران المقترحات الغربية، ترتب على ذلك فى البداية أن إيران لن يقدر لها حيازة سلاح نووى لأنها سوف تكون خاضعة للاشراف الدولى والأمريكى والتفتيش المستمر. أما من الناحية السياسية فإن شكلاً من أشكال الشراكة السياسية بين إيران وواشنطن سوف ينشأ فى الخليج وأفغانستان وخاصة فى العراق مما يؤدى إلى تواجد إيرانى رسمى فى العراق وتقسيم العراق ومناهضة الطابع العربى فيه، ولكن هذه الشراكة سوف تضع قيوداً على سياسة إيران فى الخليج وسوف تضحى واشنطن بحق الإمارات العربية فى الجزر، كما أن إيران سوف تغير مواقفها من حزب الله وسوريا وتعدل موقفها فى القضية الفلسطينية ومن حماس. وهذه كلها مكاسب هائلة للولايات المتحدة لصالح إسرائيل لم تتمكن من تحقيق أى منها حتى الآن، كما ستوفر لإسرائيل التفرد بالسلاح النووى. ولكن مثل هذه التسوية لن تكون نهاية المطاف فى نظر واشنطن، وإنما سوف تكون بداية لالتصاق أمريكى بإيران.

ونحن نعتقد أنه لا يمكن التعايش الكامل بين حكومة الثورة الإسلامية وبين الولايات المتحدة وسوف تسعى واشنطن إلى إعادة إيران إلى مرحلة ما قبل هذه الثورة. فليس سراً أن واشنطن عازمة على أن تعتبر مرحلة الثورة الإسلامية جزءاً من تاريخ المنطقة، ولكن سياسات هذه الثورة فى التحليل الأخير أسهمت فيما وصلت إليه السياسات الأمريكية فى المنطقة من مكاسب.

إن العرض الغربى يتطلب دراسة دقيقة من إيران فى حساب المحاذير والفرص والمخاطر، لأن الرفض أو القبول كليهما يحدد الكثير بالنسبة لإيران فى هذه المواجهة الفاصلة.

13

هل تهدد إيران النووية العالم العربي ؟

يبدو أن الحديث عن العالم العربى عندما يتعلق الأمر بإيران وقدراته النووية يتجه إلى التمييز بين منطقة الخليج وبين بقية مناطق العالم العربى، حيث تشعر منطقة الخليج فعلا بالقلق من قدرات إيران لأسباب عديدة أبسطها أن إيران النووية سوف تتسبب فى صراع عسكرى يضر منطقة الخليج، كما أن المفاعلات النووية الإيرانية قد تصيب المنطقة بأضرار حتى لو افترضنا حسن النية من جانب إيران. فقد لوحظ أن بعض التعليقات العربية على الأزمة النووية الإيرانية أنها تحذر من مخاطر الطموحات النووية الإيرانية على العالم العربي وخاصة منطقة الخليج ، فيما عمدت تعليقات أخرى إلى المقارنة بين الخطر الإيراني والخطر الإسرائيلي، وخلصت صراحة إلى أن إسرائيل لا تمثل خطورة على العالم العربي بسلاحها النووي، بينما إيران هي الأخطر، وحجتها في ذلك هي نفس الحجة الأمريكية، وهي أن إسرائيل نظام يتسم بالرصانة، ولا يمكن أن يستخدم هذه الأسلحة، بينما نظام إيران الإسلامي متطرف ويمكن أن يهدد المنطقة بهذه الأسلحة.

ويلاحظ أن المقارنة بين إيران وإسرائيل في هذا السياق تفترض أن إيران تحوز أسلحة نووية مثل إسرائيل، وهو أمر نفته إيران وقررته الوكالة الدولية ومراكز

الأبحاث النووية العالمية. وإذا كان بعض الذين يرون إيران أخطر من إسرائيل خلال الأزمة النووية يتخذون هذا الموقف انسجاما مع الموقف الأمريكي، فإن بعض الكتابات الثقافية العربية قد جعلت إيران مساوية لإسرائيل في خطرها على المنطقة العربية، وكان ذلك خلال الحرب العراقية الإيرانية، وهو خطر أكدته بغداد حينذاك حتى تجند العالم العربي ضد إيران، خاصة وأن بغداد كانت ترى أنها رأس الحربة العربية والدولية لمهاجمة إيران. وكان هذا الخط يرضي واشنطن وتشجع عليه، لأنه يؤدي إلى تخفيف الكراهية العربية لإسرائيل وتوزيع الكراهية على إيران أيضا.

وبعد غزو العراق للكويت التزمت واشنطن خطا مدروسا يقضي بالقول بأن الأمن القومي العربي لم يمنع غزو العراق للكويت بل إن هذا الغزو قد تم باسم العروبة، مما يعني أن العروبة أصبحت خطرا على الدول العربية نفسها، كما كانت بالأمس خطرا على الدول المجاورة عندما قام صدام حسين بحجة حماية البوابة الشرقية للعالم العربي بغزو إيران. ثم تقدم هذا الخط خطوة أخرى وهي أن الخطر ليس إسرائيل، وإنما يكمن الخطر في العراق وإيران ولذلك فإن احتواء واشنطن لكليهما ضمن سياسة الاحتواء المزدوج هو خير ضمان للدفاع عن دول الخليج. ومؤدى هذا الخط أن الأمن القومي العربي القائم على قدرة العالم العربي على ضمان أمن أعضائه، وأن هذا الأمن يعتبر إسرائيل هي المهدد له، قد انتهى، كما أنه لم يعد هناك أمن عربي، وإنما لكل دولة أمنها ومهددات مختلفة لأمنها بحيث أصبحت واشنطن هي الحامي لدول الخليج ضد إيران والعراق. وخلال الأزمة النووية الأمريكية الإيرانية ألمح المعلقون إلى أن الخطر الإيراني يتطلب باستمرار الوجود والالتزام الأمريكي بحماية دول الخليج ومواردها النفطية على أساس أن واشنطن

وإسرائيل ودول الخليج في خندق واحد، فلم تعد إسرائيل هي العدو إلا في سجلات الماضي العربي، وهذه الفرضية هي التي تشجع واشنطن وإسرائيل الآن على الفصل بين القضية الفلسطينية من ناحية، وبين العلاقات العربية الإسرائيلية وفك الارتباط بينهما، بحيث لكل اعتباراته ودواعيه. يضيف المعلقون المتأمركون أن إيران أخطر من الولايات المتحدة لأن إيران جزء من المنطقة بينما القوات الأمريكية سوف ترحل إن آجلا أو عاجلا.

في ضوء ما تقدم تبدو القضية بأبعادها جزءا من الحوار في العالم العربي. ولذلك فمن المهم مناقشة هذه القضية بطريقة موضوعية.

لعل النظر إلى مصدر الخطر على العالم العربي يرتبط بمدى تأثر المصالح الأمنية والسياسية العربية بمصدر هذا الخطر. فمن الناحية التاريخية كانت إسرائيل هي المهدد الأكبر ليس فقط للمصالح العربية وإنما للوجود العربي، وذلك نظرا لأنها كيان زرع على حساب شعب فلسطين ولا يزال يتمدد حتى يبتلع كالتين أرض فلسطين. ثم إن إسرائيل ومشروعها الصهيوني تسعى إلى فرض الهيمنة السياسية والاستراتيجية على المنطقة العربية بالقوه العسكرية وبالاستعانة بالولايات المتحدة لتفكيك الروابط بين الدول العربية واختراقها، فضلا عن سعي إسرائيل إلى تعويق المصالح المشتركة العربية الأمريكية وسائر العلاقات العربية الدولية. يكفي أن الصراع العربي الإسرائيلي صار محور حياة العالم العربي وعلاقاته الخارجية منذ قيام إسرائيل وأحدثت طريقة التعامل مع إسرائيل داخل العالم العربي انقساما حادا كلف مصر والعالم العربي معا عشر سنوات من القطيعة، بينما تزدهر إسرائيل.

خلاصة القول أننا لا نوافق على أن الصراع بين العرب وإسرائيل هو صراع ديني وليس صراعا حضاريا، ولكنه صراع بين قوم يعيشون في ديارهم وكائن سياسي

استعماري طرأ عليهم تتناقض طبيعته مع حياة العالم العربي وثبت أنه لا يريد أن يقنع بمعظم فلسطين، وتسبب الصراع معه في زيادة ملايين من العرب والفلسطينيين ضحايا الصراعات المسلحة غير المتكافئة والإبادة الإسرائيلية المنظمة للشعب الفلسطيني حتى تخلص لإسرائيل بقية أرض فلسطين. كذلك أصبحت إسرائيل بحكم طبيعتها شريكا للولايات المتحدة في تمزيق العالم العربي وبدأت بالعراق وتثير الأزمات مع سوريا وداخل لبنان وليست بعيدة عن الحرب الأهلية في العراق وربما في أوطان عربية أخرى قادمة، يساعدها في ذلك وضاع التدهور السياسي وانعدام الديمقراطية وعجز النظم العربية عن إدارة المجتمعات واحتواء أبنائها فتلعب إسرائيل على هذه المتناقضات لعربية

يترتب على ما تقدم أن إسرائيل بحكم مشروعها الصهيوني المتوجه إلى المنطقة العربية، هي المهدد الدائم للوجود العربي وأن أي تسوية معها لن تكون دائمة وكل تراجع عربي أمامها بدعوى الواقعية يتلوه تراجع أكبر حتى نهاية المشروع الصهيوني، وهو تجسيد للصراع بين هجمة توسعية استيطانية استعمارية خارجية وبين العالم العربي بذرائع دينية وتاريخية ساذجة.

أما إيران فهي جزء من تاريخ المنطقة في العصور القديمة والحديثة وهي جزء من المنطقة بثقافتها واندماجها وطموحاتها وصراعاتها، وليس كيانا وافدا على المنطقة كما أنها قوة إقليمية وإن أفقدتها ظروف الجغرافيا السياسية المحيطة بها ممارسة دور سواء في آسيا أو في الخليج والمنطقة العربية. ولا شك أن إيران تتمتع بنزعة قومية جارفة وسبب ذلك تاريخها كقوة عظمى في عصور ما قبل الإسلام، أو بسبب مكانتها في الاستراتيجية الأمريكية في مرحلة وراثة بريطانيا في الخليج وضد الاتحاد السوفيتي طوال الحرب الباردة حتى قيام الثورة الإسلامية في طهران عام ١٩٧٩.

على الجانب الآخر، عندما ظهرت القومية العربية كحركة تحررية لكل المنطقة العربية حصل احتكاك وعداء بين القوميتين خاصة عندما وصلت القومية العربية إلى سواحل الخليج العربي، حيث قامت السياسات الناصرية على أساس أن طهران قبل الثورة كانت حليفا للغرب وهي استمرار للوجود الغربي وأن الأقليات الإيرانية في الخليج تهدد الخليج وتهدد عروبته. وبينما خبت الروح القومية بعد ١٩٦٧ ثم بعد الغزو العراقي للكويت، توثبت الروح القومية الإيرانية في عهد الشاه ثم توهجت بشكل أكبر بعد الثورة الإسلامية، وزاد التوهج خلال حصار العالم كله لإيران أثناء الصراع المسلح مع العراق، ولا يزال هذا الشعور يزداد ثقة وتوهجا بظهور طموحات إيران النووية، وكذلك كلما تجدد الحديث عن حصار إيران وضرب منشآتها النووية. فما هي المخاطر التي تمثلها إيران على العالم العربي قبل تحولها إلى دولة نووية، ثم بعد تحولها إلى هذا المستوى سواء بشكل مستقل عن مقارنتها بإسرائيل أو بالمقارنة بإسرائيل.

لم يسبق أن استخدمت الثورة الإيرانية بعد الثورة ضد المنطقة العربية، وليس عليها من مأخذ سوى موقفها المتعنت من الجزر العربية الثلاث في الخليج وإصرارها على ضمها ورفض أي طريق للتسوية السلمية للنزاع حولها. ويرى البعض أن التحالفات الأمريكية مع دول الخليج كان سببا في تأرجح العلاقات الإيرانية الخليجية ولكن هذه العلاقات على الجملة، ظلت بعد الثورة وحتى بعد موجتها الأولى ودعاوى تصدير الثورة ، عند مستوى معقول من الاستقرار مع مثابرة طهران على منع دول الخليج من الوقوع تحت التأثير الأمريكي في الأزمات السياسية المتلاحقة بين إيران والولايات المتحدة. كذلك قطعت العلاقات الدبلوماسية بين إيران ومصر وتونس وموريتانيا والجزائر بسبب اتهامات أمنية،

وكذلك موقف مصر من شاه إيران عقب الثورة وتناقض الموقفين المصري والإيراني من سبل التسوية السلمية مع إسرائيل. فإذا توصلت إيران إلى الطاقة النووية السلمية وحتى لو توصلت إلى سلاح نووي فماذا تريد إيران أن تحققه في الدول العربية بالسلاح النووي لم تحققه بدون هذا السلاح. الغريب أن الذين قارنوا بين إيران وإسرائيل ومخاطرهما على العالم العربي، عمدوا إلى الإشادة بالقوة الإسرائيلية وتبرير أسلحتها النووية، وهو ما ينطوي على سياسات التوسع والابادة الوحشية التي تمارسها ضد أصحاب فلسطين لاقتلاعهم منها، بل إن هؤلاء ساقوا الخطر الإيراني كي يبرروا استمرار الوجود العسكري الأمريكي كضمان لأمن دول الخليج، فماذا لو تقاربت واشنطن وطهران، وماذا عن المخطط الأمريكي الذي لم يرحم من يدعي أنه يقدم لهم الحماية وهو المتربص بهم والمتحالف مع دولهم.

وأخيرا فإن هؤلاء يركزون في كتاباتهم على استهداف العروبة والإسلام معا، تحت ستار ما يسمونه «الإسلاموية» و« القرمجية» وكانوا أبواق الغزو الأمريكي لتحطيم الرموز القومية والإسلامية وتعميم أزمة الفريقين. فإذا كانت بعض الرموز القومية قد أفسدت، وإذا كان بعض الرموز الإسلامية قد ضلت، فلا تزال العروبة والإسلام هما الأساس للحكم ولا يجوز القول بأن الممارسة حجة على الأصل، فليس فساد النطق بالعربية دليلا على فساد اللغة العربية ولكنه محنة الناطقين بها، كما أن الممارسات الخاطئة لبعض المسلمين ليست حجة على الإسلام، فهم أتباع الدين الخاتم الذين ضلوا وأضلوا ولكن الإسلام نفسه بخير في حفظ إلى يوم الدين.

وأخيرا فإن حقد هؤلاء المتأمركين المتأسلمين المستعربين على الإسلام دفعهم إلى اعتبار حزب الله حوتا التهم الدولة اللبنانية، فانضموا في هجومهم إلى إسرائيل وأمريكا دون تقديم تحليل موضوعي لموقفهم، كما دفعهم نفس الدافع إلى إدانة

حماس وكل ذنبها أنها تتحلى برومانسية وسط جو الفساد والتعفن السياسي العربي، كما أدانوا البعث لكي يبرروا غزو العراق . فكيف بهذا المنطق يمكن لهؤلاء أن يسوقوا مقولة أن إيران أشد خطرا على العالم العربي من إسرائيل إلا أن يكون هدفهم القول أن إيران أشد خطرا على المشروع الأمريكي وأنها لو تحالفت مع العرب لحررت المنطقة من الصهيونية والاحتلال وفي هذا الجو الملتبس الذي يتشابه فيه الذئب مع الحمل نضرع إلى الله ألا يزيغ قلوبنا بعد هدايتنا وأن يقيض لنا من أمرنا رشدا. وتجدر الإشارة إلى أن المفاعل النووي السلمي لكل من إيران وإسرائيل من أسباب المخاطر البيئية فإذا كانت إيران سوف تضر ببيئة الخليج خاصة وأن الضمانات النووية في الصيانة وغيرها ليست مؤكدة، مما يبرر المخاوف التي تعبر عنها دول الخليج ، رغم تسليمها بحق إيران في التمتع بالطاقة النووية السلمية، فإن مفاعلات إسرائيل تشكل خطرا على مصر وفلسطين، خاصة وأن لدى إسرائيل نفايات وصناعات نووية بالفعل لكل هذه الأسباب وغيرها، تمسكت الدول العربية بتحرير المنطقة كلها من الطاقة النووية السلمية والعسكرية حفاظا على استقرارها وأمنها، ولكن تحيز الولايات المتحدة لإسرائيل كان أحد أسباب ظهور الطموحات النووية إلى العلن. ولا نشك فى أن ظهور هذه الطموحات الإيرانية دليل على فشل سياسة الانتشار النووى الأمريكية. ولذلك يجب أن تفكر الولايات المتحدة بطريقة منطقية حتى تضمن الأمن للجميع دون تمييز، وألا تتلاعب بالورقة النووية الخطيرة التى سوف يترتب عليها انتشار كل أنواع الأسلحة فى المنطقة وأن تتجنب السياسة الانتهازية التى تبرر بها وجودها فى المنطقة، حتى لا تفقد السيطرة بعد ذلك على أطراف هذه اللعبة. وخلاصة القول أن المنطقة لا تحتمل الطاقة النووية من الجانبين أو من غيرهما لذلك يجب أن تضغط أوروبا حتى تلتزم إسرائيل بمواقف محددة فى المسألة النووية وبذلك يمكن إلزام الجميع بهذه المواقف.

14

نحو حوار عربي إيراني : صورة إيران كما يريدها العالم العربي

لابد أن العالم العربى قد شكل نظرته إلى إيران خلال العقود الثلاثة الأخيرة، كما أنه لاشك قد شكل لنفسه صورة يتمنى أن يرى إيران عليها. وفى سبيل تحليل الصورة الراهنة لإيران عند العالم العربى، أظن أنه تجب الإشارة إلى أن العالم العربى يجمع على صورة لإيران ولكنه يختلف باختلاف بعض دوله فى نظرتهم إلى إيران. فإيران الشاه كانت حليفاً لواشنطن وصديقاً لإسرائيل، وكان ذلك مدعاة للتوتر مع مصر الناصرية، بينما كان من القواسم المشتركة مع مصر السادات. وكانت إيران الشاه سبباً للمواجهات مثلما كانت إيران الثورة مع العراق فى العهدين لاختلاف العوامل الحاكمة للعلاقات بين البلدين الجارين. أما علاقة إيران الشاه بدول الخليج فهى متفاوتة أيضاً ولكنها على العموم مستقرة بعد قبول البحرين الاستقلال فى الاستفتاء الذى أجرى عام ١٩٧٠، ولكن إيران الشاه وإيران الثورة تصر على تبعية جزر الإمارات الثلاث لها دون فرق بين العهدين، مع استمرار العلاقات السياسية والتجارية بين البلدين. غير أن إيران الثورة اكتسبت صوراً متعددة فى العالم العربى خلال العقود الثلاثة الماضية.

الصورة الأولى أنها السند لحركات المقاومة فى لبنان وفلسطين بينما هى المناهض للمقاومة العراقية إلا بالقدر الذى تكون فيه هذه المقاومة مفيدة للضغط على

واشنطن، ولذلك اكتسبت إيران شعبية كبيرة من هذا الباب عند الشعوب العربية.

الصورة الثانية : هى صورة إيران التى تتحدى واشنطن وإسرائيل مما أضاف إلى شعبيتها العربية عندما تقارن الشعوب بين انكسار النظم أمام بطش واشنطن وإسرائيل وخاصة عندما تشعر هذه الشعوب بأن أوباما يتودد إلى إيران وبدا وكأنه هو الذى قبل بالموقف الإيرانى وليس الالتقاء فى بعض الطريق.

الصورة الثالثة : هى صورة إيران التى تخطط للهيمنة السياسية على العالم العربى، وهى الصورة التى ترسمها بعض الحكومات العربية والتى تروج أن إيران هى التى تثير الفتنة والانقسام بين الاعتدال والتطرف، وإذا توقفت عن تغذية التطرف، فسوف يكون الأمر كله بيد الاعتدال، ويقصد بالتطرف المقاومة، والتحالف مع سوريا وانتزاعها من حضنها العربى الأصلى دون أن تلحظ هذه الحكومات تطور التحالف السورى الإيرانى وخيارات سوريا الصعبة بعد السلام المصرى الإسرائيلى، ثم بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، وسوف يزداد الخيار صعوبة إذا تصالحت إيران مع واشنطن وبقيت سوريا على مسافة أبعد من عتبات الوفاق مع واشنطن.

الصورة الرابعة : هى التى تظهر إيران بمظهر الدولة التى تسعى إلى نشر التشيع فى العالم العربى مفهوماً على أنه الولاء لزعيم الثورة الإيرانية عبر الولاءات الوطنية، وليس مجرد الانتقال من مذهب دينى إلى مذهب آخر لايفصل بينهما فى الكليات فاصل ويظل الاختلاف فى التفاصيل الفقهية والاجتهادية. وقد بلغ هذا البعد مبلغ القلق والتحذير من مصر والشيخ القرضاوى ولكنه وصل إلى حد القطيعة الدبلوماسية بين إيران والمملكة المغربية، بينما استقر عند حد التوجس من التيارات السياسية المقترنة بوضع إيران كما هو الحال مع تونس مثلاً.

صحيح أن الصراع الإيرانى الأمريكى وارتفاع حدة الهجوم على إسرائيل من

جانب أحمدى نجاد له علاقة بالموقف العربى العام من إيران، لكن من الصعب أن نطمئن دون تحليل إلى هذه المقولة، لأن لسلوك إيران أيضاً دخلا فى رسم صورتها عند العالم العربى. ولكن تظل الصورة الشعبية لإيران واضحة فى العالم العربى خاصة مع عجز إسرائيل عن النيل من لبنان بمقاومة حزب الله، أو من غزة بمقاومة حماس، ولذلك فإن الشعوب العربية التى تناهض هذه المقاومة قد شعرت بأن دعم إيران لها هو أحد أسباب التوتر الرسمى معها، وأشك أن هذه الشعوب قد فهمت معنى مطالبة الأمير سعود الفيصل لوزير خارجية إيران بأن العالم العربى يقدر لإيران هذه المساندة، ولكنه يرجو أن تكون المساندة عن طريق البوابة الرسمية. ومعلوم أن عجز النظم العربية عن مواجهة إسرائيل وإصرار الشعب الفلسطينى على انتزاع حقوقه هو الذى فتح الباب لظهور المقاومة، ومنح الفرصة لظهور إيران.

خلاصة ما تقدم : أن العالم العربى الشعبى يريد أن تكون إيران على صورة تختلف قليلاً عما تريدها النظم العربية. فالشعوب خارج الخليج تنظر إلى ملف إيران النووى على أنه المعادل لملف إسرائيل، بينما يشعر الخليج بشعوبه وحكوماته أن الملف الإيرانى والإسرائيلى خطر على المطقة ولافرق بين هذا وذلك، بل ترى بعض النظم العربية أن الملف الإيرانى هدفه تحقيق هيمنة سياسية لإيران على العالم العربى ولاعلاقة له بالصراع مع إسرائيل فضلاً عن المخاوف البيئية.

ولكن العالم العربى كله، حكومات وشعوباً، يريد توافقاً إيرانياً أمريكياً لكن ليس على حساب المصالح العربية ولايتمنى مواجهة عسكرية ضد إيران، كما يرفض أن يكون أداة لواشنطن فى صراعها مع طهران. وأخيراً يريد العالم العربى مجمعاً أن تجد إيران فى عراق موحد عربى مصلحة لها وليس خطراً على أمنها، كما لايتسامح العالم العربى فى أن تقفز الأقليات الشيعية فوق الولاء لأوطانها العربية لأى سبب

أو ذريعة، مثلما يساند العالم العربى حق الإمارات العربية فى جزرها، ويريد العالم العربى صورة إيران على هذا النحو وأن يتم الحوار معها على هذه القواسم.

ولسنا بحاجة إلى تعداد المكاسب التى تعود على العالم العربى من الحوار مع إيران، وأن الحكم مبدئياً باستبعادها من دائرة الحوار بأى ذريعة سوف يضر بالمصالح العربية. غير أن الحوار يتطلب أمرين حتى يثمر ويحقق أهدافه: **الأمر الأول** : أن يكون لدى العالم العربى الأوراق اللازمة حتى يكون نداً للحوار وأن يكون لديه سلة من التصورات التى تصلح للحوار، وليس مجموعة من الشروط التى تجهض أى حوار فضلا عن أن الرغبة فى الحوار والحاجة إليه يجب أن تكون إليه خيار الطرفين.

15

الشيعة في المنطقة العربية بين الانتماء الوطني والانتماء المذهبي

يبدو أن سقوط بغداد فى التاسع من أبريل ٢٠٠٣ كان مؤشرا على أن العراق الدولة والوطن قد أصبحا جزءا من تاريخ السياسات الأمريكية والإسرائيلية فى المنطقة. ذلك أن الخطة الأمريكية لم تكن تتضمن إسقاط صدام حسين عام ١٩٩١ وإنما البدء فى تنفيذ مخطط تقسيم العراق طائفياً وفعليا، حتى إذا أصبح ذلك ممكنا سهل بعد ذلك إزالة الغطاء وهو شخص صدام حسين، فأرادت واشنطن أن تنقل للعالم كله رسالة واضحة وهى أن الاستبداد بالمواطن يؤدى إلى ضيع الوطن، وهى رسالة لا أظن أن كثيرين سوف يستوعبونها فى النخب الحاكمة العربية. فقد شجعت واشنطن تمرد الشيعة فى الجنوب، ليس عطفاً وشفقة، وهى التى مكنت صدام من البطش بهم، ولا تطيق الشيعة وما يرمزون إليه، كما شجعت الأكراد على التمرد 'نتقاما من بطش صدام الذى أعانه عليه الساسة الأمريكيون والأوربيون. وقد ميز الأمريكيون- لأغراض تفتيت' العراق- بين أكراد العراق وأكراد تركيا. واتخذت واشنطن من قمعهم، وهى تعلم ذلك مقدما وتخطط له، فرصة لاستمرار مخططها. يبدو أيضا أن واشنطن كانت تعلم أن العرب وحدهم هم الذين يعارضون الغزو، وقد أشاعت واشنطن أنها جاءت لتخلص الشعب العراقى كله من صدام حسين. كما تخلص الأغلبية من حكم الأقلية العربية، رغم أن هذه هى المرة الأولى لتى تظهر فيها

واشنطن أن هذه الأقلية هى التى ترمز إلى عروبة العراق عبر تاريخه الطويل، فأسهمت واشنطن بذلك فى الفصل بين الشيعة والعرب، مستغلة سجل صدام الذى شجعته هى عليه. وقد عمدت سياسات الاحتلال إلى تكريس هذا الخط بعدة وسائل، من بينها الإصرار على إجراء الانتخابات التى كانت مظهرا واضحا للفصل الفعلى بين الطرفين: الشيعة الذين كافحوا لإجرائها فى موعدها متحدين فى ذلك مع الموقف الأمريكى، والسنة الذين كافحوا لعرقلتها فوقفوا بذلك ضد كل الأطراف، وبذلك كان إجراء الانتخابات انتصارا لواشنطن وللشيعة مثلما كان هزيمة بشكل ما للسنه المقاومة. وهكذا دفعت واشنطن الشيعة إلى الشعور بالتخلص من نظام علمانى قمعى، فخلطوا بذلك بين النظام والوطن، خاصة وأن صدام حسين قد أشعل نيران العداء بين القومية الفارسية الشيعية والقومية العربية خلال الصراع العسكرى بين إيران والعراق، فأصبح الشيعة يتخذون إيران وطنا وملاذا ومقصدا سياسيا ودينيا. وليس بخاف أن قضية الشيعة فى العراق والمنطقة العربية عموما قد صارت مثار جدل ونقاش، وهى قضية عامة لا يجوز التذرع بأية حساسيات بشأنها. فقد ركزت الكتابات الأمريكية على المذهب الشيعى واتجاهاته السياسية منذ الثورة الإسلامية فى إيران، حيث لم يكن مصطلح الشيعة يثيرأى جدل أو التفات سوى ماتضمنته البرامج السرية الأمريكية والإسرائيلية من دراسة إشعال الفتنة بين كل الطوائف فى المنطقة العربية لتمزيقها. ولم يكن أحد يسمع عن قضية الشيعة فى الستينيات والسبعينيات، بل كان الجدل يدور حول الصراع بين الأطماع الفارسية فى الخليج والأقليات الفارسية المنتشرة فيه فى ظل طغيان المد القومى الفارسى، ويقابل الزخم القومى العربي فيما صورته الناصرية والبعث فى المنطقة، حتى انشغلت بعض أعمال الجامعة العربية بالتصدى للخطر الإيرانى (وليس الشيعى) والتحذير من الأقليات الشيعية فى دول الخليج إزاء ضعف التركيبة العربية لهذه الدول، مما دفعها

إلى استخدام الهنود والبلوش والباكستانيين وغيرهم من أبناء آسيا لموازنة التركيبة الفارسية- العربية.

وحتى عندما أصرت إيران على تبعية البحرين لها حتى عام ١٩٦٩ واختيار البحرين استقلالها فى استفتاء الأمم المتحدة، وتخلى إيران تماما منذ ذلك الوقت عن أطماعها التى استمرت قرنا ونصفا فى البحرين، كان هناك التباس بين العنصر الفارسى والشيعى فى مواجهة العنصر العربي فى البحرين، ولكن التطور السياسى فى البلاد منذ استقلالها عام ١٩٧١ وحد أبناء البحرين بصرف النظر عن انتمائهم المذهبى. وعندما انسحبت بريطانيا من الخليج فى ديسمبر ١٩٧١ كان العراق يستعد لوراثة بريطانيا ضد إيران وحلفائها الإقيميين والدوليين، فبدأت المشاكل بين العراق وإيران باسم الخليج عربيا أم فارسيا، وانتهاء بمنطقة شط العرب وقرى الحدود التى تعرضت للإجراءات الثأرية المتبادلة فى إطار الصراع بين إيران والعراق. ولكن العراق لم يثر نغمة الشيعة، ويقال أن صدام عندما بدأ غزو إيران فى سبتمبر ١٩٨٠ دفع بقواته من الشيعة لمقاتلة شيعة إيران، مثلما دفع الاتحاد السوفيتى السابق بالجنود المسلمين لديه لمقاتلة الأفغان عام ١٩٨٠ أيضاً. بل إن صدام هاجم فى دعاياته إسلام إيران أصلاً ونعتهم بالفرس المجوس، فى الوقت الذى نكل فيه بالزعامات الشيعية وقلل من أهمية المزارات الشيعية المقدسة مما أعى من شأن مدينة قم الإيرانية على حساب النجف الأشرف وكربلاء.

أما شيعة لبنان، فلم يكن لهم قضية أو ذكر حتى وضعهم حزب الله فى وضع متميز فى تركيبة المجتمع اللبنانى بعد عام ١٩٨٢ عندما تشكل الحزب لمقاومة الغزو الإسرائيلي لبيروت.

على أن الغزو الأمريكى للعراق عام ٢٠٠٣ هو المفجر الأكبر لقضية الشيعة،

حيث قدرت واشنطن أن شيعة العراق يتمنون زوال المستبد العراقى العربى السنى، ولم يرتبطوا بالمقاومة العراقية السنية حتى لاتؤدى هذه المقاومة إلى عودة الحكم العربى السنى. واتخذ الشيعة موقفاً وصف بأنه مهادن للاحتلال الأمريكى متواطئ معه كما فعل الأكراد. وبدا المشهد العراقى وكأن الولايات المتحدة تحظى بدعم شيعى كردى، وهما معا يمثلان الأغلبية الساحقة للشعب العراقى فى مواجهة المقاومة العربية السنية. وفى نفس الوقت فإن خطة واشنطن فى تمزيق العراق والقضاء على العراق القديم الموحد بصورته العربية الإسلامية التقت مع آمال الشيعة والأكراد الذين استماتوا لإجراء الانتخابات، ثقة فى النصر، وهو ماحدث تماماً، حيث سارع زعماء السنة إلى اللحاق بالعملية السياسية وأيدهم زعماء الأكراد والشيعة، ليس حرصا منهم على وحدة الشعب العراقى، ولكن ضماناً لشرعية العملية السياسية، وحتى لا تبدو هذه العملية وكأنها صنيعة سلطات الاحتلال. فأصبحت التركيبة السياسية فى العراق، بعد الانتخابات، وإن كانت مؤقتة، إلا أنها تعكس شكل العراق الجديد بين الأكراد فى رئاسة الدولة والشيعة فى رئاسة الحكومة وأخيراً السنة فى رئاسة الجمعية الوطنية.

فما الذى جعل الشيعة قضية تستحق التحليل؟

هناك أربعة أسباب على الأقل جعلت قضية الشيعة تشغل بال المراقبين.

أما السبب الأول : فهو أن إيران تراهن على مستقبل المنطقة من خلالهم، وكانت أحيانا تبدى انحيازا غير مقصود ضد السنة خاصة عندما تحالفت القوات الأمريكية مع القوات العراقية فى اقتحام المثلث السنى بقسوة ووحشية وصلت إلى حد الإبادة، لم تحرك إيران وحزب الله ساكنا، بل صدرت عنهما تصريحات- إن صحت- فإنها موضع قلق شديد. والمعلوم أن إيران تعاملت مع ضرب المدن الشيعية العراقية

بشكل أذهل العامة، ولكن الحقيقة هى أن إيران شجعت جناح العقلاء فى قيادات الشيعة بقيادة السيستانى الإيرانى ضد تمرد شباب الشيعة العرب بقيادة مقتدى الصدر، لأن نجاحه كان سيؤدى إلى التحامه مع العرب السنة المقاومين فتختلط الأوراق.

أما السبب الثانى: فهو التركيز على أن العرق يضم الأكراد والشيعة والعرب السنة. فإذا كان الأكراد عرقاً مختلفا يلتقى مع بقية المجتمع العراقى، فيما كان من صفته العراقية، وفى الإسلام، فإن تفريد الشيعة يثير التساؤل حول ما إذا كان الشيعة عرقا وطائفة، أم أنها مذهب دينى، مع العلم بأن الشيعة عرب من حيث الانتماء العرقى. كذلك تأكدت هذه المخاوف عندما نص مشروع الدستور العراقى على موقع متميز للأكراد فى الحكم وعلى الأرض، بينما أشار إلى أن الذى ينتمى إلى الأمة العربية هم العرب السنة وحدهم، ولم يعلق الشيعة على ذلك. فإذا كان الشيعة يتصرفون على أنهم ليسوا عربا، وأن الافتراض هو أنهم يهمشون العرب السنة، فإن ذلك يقوى الشعور بالانتماء الشيعى من الناحية الدينية، وكأن المذهب الشيعى قد أصبح بديلا عن الانتماء الوطنى أو القومى، وأنه يقف فى مواجهة الانتماء العربى، مما يؤدى إلى مزيد من الانقسام فى العراق. فإذا صح هذا الافتراض، فإن شيعة العراق قد يصبحون منافسين لإيران، كما قد ينسقون معها. كذلك فإن شيعة العراق قد يصبحون جزءا من تركيبة شيعية أوسع يلتقى عندها شيعة لبنان والخليج وشيعة العالم بما يقدر إجمالا بحوالى مائة مليون نسمة يتوزعون فى مختلف أنحاء العالم.

الظاهر حتى الآن أن شيعة العراق لديهم حسابات مختلفة، وقد يتجهون إلى دمج الوطنى بالطائفى فيتمسكون بالطابع العراقى عصمة لهم من الاندماج عبر الإقليم فى إيران، فيصبح العراق الشيعية إزاء إيران الشيعية بحسابات مختلفة تخالطها الورقة

الأمريكية التى تخيم على سياسات العراق فيصبح السنة أقلية عراقية، أو أن يتحول الجميع إلى الاعتصام بالعراق الوطنى فى ظل فيدرالية تستجيب لرغبات الجميع، وهذا هو الاحتمال الذى يجب أن تغذيه المنطقة العربية، فيصبح الشيعة عربا قبل أن يكونوا شيعة، ويظل الإيرانيون إيرانيين قبل أن تعتنق إيران المذهب الشيعى قبل أربعة قرون فى عهد الدولة الصفوية، مما يبدو احتمال أووهم قيام دولة شيعية كبرى عبر الأوطان القومية التى يعيشون فيها.

obeikandl.com